ناظم حسين

Septic Tank
سبتتنك

قصص

Septic Tank

سبتتنك

سبتتنك

قصص

ناظم حسين

الطبعة الأولى 2021

عدد الصفحات 86 - قياس 14,5 × 21,5

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

قصص

ناظم حسين

Septic Tank

سبتتنك

2021

"نعتذر"

أكثر رد واجهته هذه القصص بعد أن أرسلتها لأكثر من عشرين دار نشر، ثم سمعت عن هواية غريبة في قراءة القصص، تقوم فكرتها على أساس السؤال التالي:

هل جربت قراءة القصص المرفوضة؟

فقرّرتُ النشر.

إلى كُل الذين لا زالوا يُمارسون الجنس
رغمَ أنهم يعيشون في العراق.

شكراً إلى أصدقائي القلة

وهم يضيئون الحياة دائما..

علماً أن الأشياء المنحطة
أكثر متعةً في بعض الأحيان
من الأشياء النبيلة.

شارل

SEPTIC TANK

سبتتنك

ما الذي يحدث هنا؟!

هذا أول سؤالٍ كنتُ أسأله لنفسي وأنا أقرأ هذا الكتاب القصصي الغريب بتفاصيله وشخصياته وأمكنته، الغارق في تمردهِ حدَّ الصراخ، مردداً مع نفسي: إنه المستقبل! بمعنى أنني أقفُ أمام جيلٍ قادمٍ من القصصين يُدرك تماما أن الحياة العبثية التي نعيش في وسطها تحتاج إلى فهمٍ أكثر عبثية. هو جيلٌ ظهر ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، ولا يجد سوى البذاءة شكلاً إبداعياً ليعبّر من خلالها عن واقعه المقرف، أو (يشتم) -قصصياً- هذه الحياة الوسخة وغير المعقولة، والتعامل معها بحسب عفونتها وقذارتها ونتانتها وجحيمها تلك التي جعلت الإنسان مقموعاً ومستلباً ومأزوماً ومُفرغاً من روحه وعقله وعاطفته في داخلها، ميتاً ينتظر دوره بالدفن رغم نبضات قلبه المتواصلة! هكذا نجد أنفسنا في قصص هذا الكتاب أمام زخم هائل من عفونة حياتنا،

ونقف أمام (خـراء) حياتي طفح من بالوعة الوطن وهـو يزكمنا بروائحه الكارثية التي يقف أمامها كتاب (سبتتنك) موقف المتمرد وغير الراغب أو المقتنع بالعيش فيها.. وأجدني -ثقافياً- أفهم هذا الكتاب بمجمله من خلال قـراءة المضمر فيه الـذي يصدمنا بشخصيات من الهامش تقوم بأفعال خارجة عن المعقول لكونها نتاج مجتمع وجد نفسه يحمل الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والرمانات الهجومية منذ صغره ويحارب على طول خط حياته دون أن يسأل لماذا نحارب؟ ومن أجل من؟ وتعلّم ببساطة كيف يقتل الآخر مع وجود مؤسسات تجد له المبررات لفعل القتل! وهذا كله بالضرورة نتاج واقع سياسي خالق للأزمات والكوارث والجحيم منذ مائة عام من عمر الوطن. قد يرى البعض أن هذا الكتاب يشير بشكل قصدي إلى (الإيروتيكية) ويضعنا أمام شخصيات تمارس الكثير من الأفعال الشاذة والمقززة والرذيلة بشكل فاحش، ولكنني أدرك تماما أن تلك الثيمات خارج عن مفهوم القصدية، فالأهم عند القاص إنتاج نص قصصي يريد الذهاب إلى ما هو أبعد في قراءتنا بدليل أننا نقف أمام أفعال جنسية تقوم بها الشخصيات ولا نجد أنفسنا أمام إثارة جنسية تماماً، فالقاص (ناظم حسين) يضعنا أمام مصائر شخصيات خلقتها جملة من الظروف القاهرة في حياةٍ مرتبكةٍ ومعقدةٍ وعفنةٍ ممكن أن يحدث فيها أيّ شيء غير متوقع..

فقد خلقت لنا تلك الحياة/ الواقع.. شخصيات من القاع هي الأخرى مرتبكة وحائرة وتقوم بأفعال يفترضها (القص) بطريقة يُقنعنا بأنها قد وقعت فعلاً. وها أنذا ما زلتُ أردد بثقة: إنه المستقبل!!

علي عبد النبي الزيدي

كاتب مسرحي من العراق

ضرّاب الحي

ولأنَّـه لم يفلح في الـدراسـة أو العمل مثل الكثير من أبناءِ الناصرية، كرَّسَ أسد حياته في ممارسةِ العادةِ السرية حتى عُرِفَ في الحي باسم "ضـراب الحي"، كان يمارسُ باليدِ اليسرى فقط لأنَّ الحـربَ أخـذت اليمنى منه، منذ مراهقته كان ينتصرُ دائماً على أصدقائه في عـدد المـرّات؛ وباعترافهم عندما يتجمعون بخرابة ويمارسـون عادتهم السـرية؛ يتفوق عليهم دون أن يتعبَ أو ينام قضيبه، أدى هذا الشيء إلى تميزه بين أبناءِ الحي، كان يفتخر ويتبختر في مشيته كأنَّه قائد منتصر، حتى عند الفتيات أصبح معروفاً؛ كما أخبره صديقه ذات مساء، مما جعل أسد أكثر إصراراً على الممارسة، وأخذ يخترعُ طرقاً جديدة للاستمناء وتعليمها لكلِّ مراهقي الحي، يأكل بشراهة ويختار أغذية مقوّية كالعسلِ والمكسرات كي يوفرَ طاقة لجسمهِ حتى يقذف أكثر وأطول من ذي قبل بمرات، صار

بمقدورهِ أن يملأ عشرة أكوابٍ بالنطف يوميّاً، لم يَنَم أسد كثيرا خوفاً من فقدان لذته بالممارسة وعلى هذا النحو قسَّمَ وقته ونظمه بشكلٍ رهيب، في أحد الأيام الصيفية الحارقة استيقظ صباحاً وكعادتهِ قبل أن يفعل أيّ شيءٍ ذهب إلى الحمام مباشرة و" جَلَدَ قضيبه" وعندما قذف لم ينتبه أين سقطت النُطف لأنَّه كان نعساناً بشكلٍ كبير، وفي الظهيرة عاد إلى الحمام حيث طقوسه المعتادة وحين قذف انتبه أن النطف لم تسقط على الأرض مثل كلّ مرةٍ بل كانت يده تشربهن، ارتبك، غسل يديه وعاد للاستمناء مجددا، لديه القدرة على الممارسة أكثر من خمس مرات متتالية في وقت واحد، انتبه أن يده تسحب كلّ النطف إلى الداخل بطريقةٍ سحرية، نظّف نفسه وخرج، تسلل الخوف إليه؛ فأخذ يمارسُ أكثر وأكثر، وفي كلِّ مرةٍ تبتلعُ اليد النطف، ارتعبَ من الأمرِ وراجع الأطباء لكن دون جدوى، كانت إجاباتهم دائما، أنت سليم ولم نسمع بحالةٍ كهذه من قبل، رغم الرعب والخوف من حالته، إلّا أنَّه لم يترك عادته، لكن بعد شهر واجهته مشكلة إذ أخذ يفقد رغبته ببعض الأطعمة واللحم بصورةٍ أساسية، لكن ذلك لم يوقفه؛ فكان يأكل دون رغبةٍ خوفا من فقدانه لمهنتهِ التي ميزته عن كلِّ أبناءِ جلدته، بعد أسبوع أخذ يشتهي أكلة ويكره أخرى أما الغثيان المستمر فلم يفارقه، ذهب إلى طبيبٍ آخر دون فائدة؛ فقد أخذت حالته تزداد، لكن شغفه بالممارسة لم يتوقف،

بالعكس كان يفخرُ بنفسهِ أمام الجميع، غير أنّ يده أخذت تتورم يوما بعد آخر، أخبر أصدقاءه بما يحدث ليده، كانوا مصدومين من غرابةِ ما يحدث، لم يستطع أن يصدقَ الأمر، وعزم على مواصلةِ الاستمناءِ لكنّ يده أخذت تتعب وتظهر بعض التشققات في نهايتها، وازدادت الهالات السود حول عينيه، وفي الأيام الأخيرة أصبح لون بوله أحمر داكن، وأخذت قدماه تتورمان شيئاً فشيئاً حتى أصبح قليل الحركة، واستمرَ يمارسُ عادته في مكانه، ورغم أنّ يده في هذه الفترة كفت عن شربِ المني إلاّ أنَّه ظلّ يشعر بالغثيان والتعب وفقدان الرغبة بالطعام، ولأنَّه لا يستطيع أن يقذفَ سوى في سريرهِ امتلأ فراشه بالسائلِ اللزج، وبعد شهرين وهو ممددٌ على سريرهِ يحاولُ الاستمناءَ، شعرَ بحركةٍ غريبةٍ داخل يده التي تورمت كثيرا، صُدِمَ وتركَ الممارسة وحاول أن يهدأ لعله يعرف ما يحدث، في الصباح حين فتحَ عينيهِ مارسَ وقذفَ على السريرِ الذي أصبحت رائحته كريهة، مثل جوربٍ في قدمٍ مليئةٍ بالقروح، قرر أن يتحاملَ على نفسهِ ويخرج إلى المقهى، في الطريقِ أحسّ برأسهِ يؤلمه وتسارعت دقات قلبه، سقط على الأرض، استيقظ فوجدَ نفسه في صالةِ العنايةِ المشددة والأطباءُ على رأسهِ، حاول أن يكلمهم لكنَّه لم يقدر؛ كان منهكاً ويتألم، مكث يومين داخل المستشفى وبعدها خرج حاول أن يفهم ما يحدث له لكنَّ الطبيب كان كتوماً وأخبره أن يأتيه بعد أسبوع إلى عيادته، قضى

الأسبوع بالممارسة لكن هذه المرة كان يتعب بسرعة وأصبحت يده منتفخة جدا وفي داخلها شيء ما يتحرك طوال الوقت، طش الخبر في كلِّ الحي وأصبح أسد مثل العلكة بأفواهِ الصغار والكبار، قلل من خروجهِ خوفا من الأسئلة المتكررة، ذهب إلى الطبيبِ عصر يوم الأحد، كان الشتاء على الأبواب، فحصه حتى تبين بأنَّ يده حامل، لم يصدق الأمر حتى رأى الطفل في شاشة السونار.

قال للطبيب"كيف ليد أن تحبل؟"، "يدك حامل بولد" ردَّ الطبيب، بعد يومين أخبره الطبيب بأنَّه قد يفقد يده إذا أجريت لها عملية، ومن الممكن أن يفقدَ حياته أيضا، سيطرَ الخوفُ على قلبِ أسد ولم يُمارس لأيامٍ ولم يعد ثانية إلى الطبيب؛ فمكث في البيت، في أحد الأيام استيقظ على ألم شديد في كفّهِ وقام يصرخ بقوة حتى خرج جنين من يده، جنين بكامل أعضائه سقط على الأرض متمسكاً بالحبل السري، أخذت يده تنزف حتى فقد الوعي، دخل عليه الجيران بعد سماعِ صراخه وصراخ الصغير، نقلوه إلى المستشفى لكنَّه توفي في الطريق أما الطفل فلا يزال حيّاً يرزق.

نتوء

في حي منعزل وصغير، كان بيت جميلة*، في مثل هذا الوقت كل يوم تمارس العادة السرية بانتظام، لحظات، يطرق الباب، إنَّها جارتها أشواق، تشربان الشاي ببطء، ويستمر حديثهما عن الرجال لا غير، لكن هذه المرة كان الحديث مصحوبا بألم كبير، بدأت جميلة بالحديث المؤلم، الذي كانت تخبئه عن جارتها طوال السنوات المنصرمة، بدأت بكلام كثير، لم أعد أطيق هذه الجدران، القبح يزداد مع تقدم الأيام وشهيتي للرجال أصبحت بحجم السماء، هل تصدقين أنَّني أرى الرجال على شكل قضيب، لم أحتمل المكوث في البيت بمفردي، يداي تعبتا كثيرا لممارستي العادة السرية، دون نفع يا صديقتي، لا فائدة من أن يضاجع الإنسان نفسه، لا توجد أية لذة، الاحتكاك لا غيره هو الحل، حين يحتكُّ جسدك بجسد آخر، هنا يكمن السر واللذة معا، أن تمارس شيئا بمفردك حماقة وسخافة كبيرة، خاصة الجنس، تقول لها جارتها

بعطف: حين أعود من العمل سأجلب لك هدية ستحبينها كثيرا، في الغسق سأعود انتظريني، لم يتأخر الغسق كثيرا، عادت الجارة وبيدها شيء ملفوف بقماش أسود لم يتبين منه شيء، أعطت الجارة الشيء لصديقتها، أخذته، وبرفق أزالت عنه القماش، وكأنَّها تقشر الموز، حتى تبين أنَّه قضيب، ارتبكت في البداية، لكن سرعان ما تداركت الأمر بابتسامة واسعة، بعدها أطلقت ضحكات متتالية بصوت عال، قالت لجارتها كم سعره، ردت الجارة، لا ليس للبيع، إنَّه الذكرى الوحيدة من زوجي، في تلك الليلة كان الوقت الثانية عشرة ليلا، كان نائما وكنت أنا قربه صاحية ومشتهية كثيرا، مرّرت يدي على قضيبه فانتصب بسرعة، لم أمارس معه حينها، بل قبّلته عدة مرات فقذف، بعدها لم يستيقظ زوجي، حين انتبهت لأنفاسه، كان لا يتنفس، فعلمت بأنَّه قد مات، ليلتها لم أنمْ إطلاقا، كنت أمارس الجنس معه، مارست أكثر من طاقتي، آمنتُ بأنَّني لن أمارس الجنس بعد اليوم، كان القضيب يعمل، بمجرد أن ألمسه ينتصب بقوة، فكّرت أن أقطعه ولم أتردد، وهو الآن بين يديك، العجيب أنَّه منذ سنوات، ما زال ينتصب ويقذف النطف وكأنَّه معلق بجسد رجل، غدا سأعود في الصباح لأخذه، لو لم تكوني عزيزة عليَّ، ما أعطيتك إياه، والحقيقة أريد أن تمارسي جيدا معه، لأنني أظن أنه يعمل معي فقط، ترد البنت على جارتها" لا عليك سأجربه الليلة وغدا سأرجعه". أخذت ساعات تهيئ الغرفة وترتب السرير حتى حل الليل

الذي تأخر هذه المرة، أحضرت البنت القضيب، لمسته فانتصب بسرعة دون أيّ مقدمات، أخذت تقبّله ببرود، لم يكن مجرد قضيب فحسب، ذابت بالمضاجعة، لم تصدق كيف لقضيب أن يجعلها سعيدة ومنتشية لهذا الحد! كانت فرحتها لا توصف، مارست الجنس حتى الفجر، كانت ليلة من ليالي عمرها، نامت والقضيب بيدها، وفي الصباح نهضت من الفراش، تذكرت أن القضيب كان في يدها، أخذت تبحث في كلِّ زاوية ولم تجده، كيف؟ بقيت صامتة حائرة لدقائق، بعدها قامت بتفتيش البيت كله، لكن دون أن تعثر عليه، أخذت الحيرة تسكنها، تذكرت أنَّها لم تبحث في حديقة البيت، خرجت مسرعة، وجدت القطة تأكل شيئاً ما، تقربت مسرعة منها، وجدتها تأكل القضيب، حاولت أن تمسك بها، لكن القطة هربت، وتركت جزءا صغيرا من القضيب، وبينما رجعت للغرفة بمأساتها، حاولت أن تحضّر عذرا لكن بلا فائدة، جلست حزينة وبيدها الجزء الصغير من القضيب، لحظات ويطرق الباب، تلعثمت، كيف تخبر جارتها؟ لا يوجد أي عذر لتقوله، فتحت الباب دخلت جارتها، سألتها فورا كيف كانت ليلة أمس؟ أجابتها، كانت ليلة عظيمة، رجعت الجارة للسؤال: تبدين حائرة أو خائفة من شيء، ماذا بكِ؟ تحدّثي. "لا شيء، لم يحدث شيء صدقيني"، تفاجأت الجارة بالرد، حاولت أن تسألها، لكن سرعان ما تكلمت البنت بارتباك، صدقيني لم يكن الأمر بيدي، استيقظت صباحا ولم أجد سوى هذا

الجزء الصغير، كان طوال الليل بيدي، أرجوك ركزي معي، القضيب أكلته القطة، تصمت الجارة قليلا، ثم تجهش بالبكاء والصراخ، يا ملعونة! أيتها القحبة، ماذا فعلتِ بقضيب زوجي؟ كيف لي أن أصدقك؟ "أنعل أبو شهوتك" التي ستحرمني من أعز شيء عندي، لم يكن ذنبك أنا بنت قحبة، لأنني ساعدتك، ابقِي وحدك أيتها القوادة، هذا آخر ما قالته، قبل أن تخرج بغضب واستياء.

بقيت جميلة ليومين حزينة وعصبية ومتوترة، لكنها أصبحت طبيعية وأخذت تبرر لنفسها، عادت لممارسة العادة السرية، بعد انقطاع دام يومين، عند إكمال الممارسة، تذكرت بأنَّها تخبئ الجزء الصغير من القضيب-منذ أن نهشته القطة- في دولاب الملابس، سارعت بإحضاره، لمسته فانتصب، ابتسمت وقامت بالممارسة معه، في اليوم التالي مارست أيضا، الصادم في الأمر أن هذا الجزء الصغير والغريب، يقذف أيضا، لكن ليس كما القضيب الطبيعي، بعد شهرين بالتمام، علمت جميلة بأنها حامل من القضيب أو من الجزء الصغير؟! لا تعرف بالضبط، المهم أنَّها حامل فحسب! ومع تقدم الأيام والعمر والحمل، ظلّت محتفظة بقضيب غير عادي! خيالي!! كما أطلقت عليه جميلة.

توفيت جميلة بعد إنجاب الطفل المشوّه، كما وصفه الأطباء في المستشفى، لأنَّ الطفل ولد بلا قضيب، سوى جزء صغير منتصب طوال الوقت، وبعد أيام ستجرى عملية لإزالة هذا النتوء.

السيد فاعل

بعد أن اشتدت المعركة وقتل من قتل وجد عربيد نفسه محاصرا في غرفة مهدمة وقذرة، كانوا يحرقون الجثث داخلها فرأى بقايا أيادي وجماجم مفحمة، حاصر الأعداء كلَّ شيء، لكنَّهم لم ينتبهوا إلى وجود عربيد في تلك الغرفة، سُميّ عربيد لأنَّه قبل أن يولد بلحظات لدغت أمه أفعى كبيرة كانوا يطلقون عليها اسم عربيد في حيهم الذي يقع على حدود المدينة، يقول بعض كبار السن إن هذه الأفعى قبل أن تلدغ أمه أخذت تطلق أصوات كأصوات البشر، ويقولون أيضا إن الأفعى التي تطلق أصواتاً مثلنا تحمل داخلها روحاً شريرة؛ وعلى أساس هذا الشيء كان منبوذاً من أبناء جلدته وهذا ما جعله يقضي حياته في الحروب، يتمنى لو أن رصاصة تائهة تفجر رأسه لأنَّه كان يخاف أن ينتحر.

حين تبرأت منه عائلته ورموه فور نزوله من بطن أمه، أخذه رجل معتوه يسكن في بيت عبارة عن غرفة واحدة مكونة من الطين لا غير، لكنَّه كان طيبا وكريما معه للغاية، علمه الكرم وحسن الضيافة وألّا يدير وجهه للذين يحتاجون مساعدة، رغم أنَّهما كانا يعيشان الفقر بكلِّ أشكاله، واشتهر بين أصدقائه في الحروب باسم السيد فاعل لأنَّهم رأوه ذات مرة يمارس الجنس مع إحدى الجثث المقطعة، وأخرى صدموا حين وجدوه يمسك كومة لحم مثقوبة من الوسط لشخص لا يعرفون جنسيته ويمارس الجنس معه أيضا ببشاعة دون أن يشعر بالقرف أطلاقا.

أخذ عربيد يتلفت داخل الغرفة العفنة باحثا عن مخرج، رنَّ بأذنيه صوت:

"لا أريد الموت".

تجمد في مكانه وأخذ ينظر إلى الجثث التي تملأ المكان ظاناً بأن جثة ما لا تزال حية، لكن بلا جدوى، فالجثث كلَّها محترقة منذ أيام، أخذ يقول في نفسه"ثمة شيء غريب داخل الغرفة".

وضع سلاحه على الأرض وأخذ يزحف محاولاً النظر من النافذة الوحيدة، وهو يزحف عاد الصوت مجددا:

"إنني أختنق، أخرجني".

توقف عن الزحف ونهض مسرعا نحو سلاحه وأمسكه ووجهه على إحدى الجثث وأصبعه على الزناد مرتجفا، يحاول أن يطلق النار لكن خوفا من اكتشاف مكانه لم يفعلها، جلس على ركبتيه موجها سلاحه على الجثث، بقي للحظات في وضعه حتى عاد الصوت مجددا لكنَّه كان أكثر وضوحاً هذه المرة:

"أنت مطي، أقول لك إنني أختنق من بنطالك الخايس".

خيم عليه الصمت والخوف والقلق، لكنَّه كان شجاعا نوعا ما وردَّ على الصوت:

"من أنت، اخرج من بين الجثث".

اختفى الصوت لفترة وعاد إليه:

"أنا قضيبك يا غبي، انظر إليّ، منذ ساعة وأنا متوقف.

برجفة وخوف نظر إلى بنطاله فرأى بأن قضيبه متوقف فعلاً، مسكه فرد الصوت:

"هل تأكدت الآن؟ أخرجني لأشم الهواء، لقد تعفنت".

فتح حزامه وأخرج قضيبه موجها سلاحه عليه.

"أي هسه ارتاحيت خرا بخيستك"

لم ينتبه لكلامه كان مشغولا بفتحته التي أصبحت كفم إنسان طبيعي وداخله أسنان، لم تكن في السابق هكذا كانت أصغر قليلا، أنزل سلاحه وذهب إلى النافذة مجددا، نظر بقلق فوجدهم يحرقون

جثث أصدقائه، عاد إلى مكانه في نهاية الغرفة ووجّه سلاحه إلى الباب، أخذ يفكر أن يهرب من النافذة بعد أن يطلق الرصاص، لكن قضيبه رد عليه:

"أنت مخبل، هذه الطريقة قديمة لا تنفع".

استغرب، كيف لقضيبه أن يعرف بماذا يفكر، فردَّ عليه بعصبية:

- كيف عرفت إنني أحاول الهروب؟
- أنا جزء منك ما بك؟

لم يتكلم وأخذ يحضر نفسه للهروب لأنَّ أقدامهم أصبحت قريبة جدا من الباب، قبل أن يضغط على الزناد صرخ قضيبه:

"قلت لك لا أريد أن أموت ليش ما جاي تفتهم".

صفع قضيبه بقوة وهو يكلمه:

- أنا أيضا لا أريد الموت.
- اقطعني، أنا أعرف كيف أتصرف، لكن خلصني من جسدك العفن.

قال في نفسه: سوف أجن ولم أفهم للآن كيف لقضيب أن يتحدث ويطلب مني شيئاً كهذا، وهو يحضر نفسه للهروب سمع أحد الأشخاص يقول هذه الغرفة لم نفتشها هيا لندخلها؛ بقي يرتجف وانهمرت دموعه، وشرعت ذاكرته تعرض أمامه كلّ لحظات حياته،

وهو يبكي، سمعهم يتقدمون حتى فتح أحدهم باب الغرفة، فأطلق عليه أكثر من رصاصة وقتله، ارتفع صراخ الجنود وازداد لغطهم، بدأوا بإطلاق رصاص كثير عليه، انبطح على الأرض، وأخذ قضيبه يصرخ ويبكي هو الآخر:

"خلصني. اقلعني. لا أريد أن أموت. يا ابن الكلب".

أثناء انشغاله بسماع صوت قضيبه، دخلوا عليه وأطلقوا الكثير من الرصاص على جسده العفن، فمات عربيد، لكن أحد الجنود قد انتبه إلى أفعى خرجت من بنطاله مسرعة نحو الباب، فطلب من الجنود قتلها، لكنَّهم لم يصيبوها.

كانت تطلق أصواتاً وهي تهرب كأصوات البشر تماما.

ثرية

لم يمضِ كثير من الوقت على إبراهيم في كتابة المذكرات اليومية عن عمله في المشرحة؛ يكتب بشغف عن كلِّ الأحداث التي يمر بها من ممارسة الجنس داخل المشرحة إلى السرقة والتهريب، باختصار كان يأخذ كلَّ شيء له قيمة من الجثث، قبل يومين عثر على موبايل حديث في جيب أحد الموتى، وقبلها عثر على محفظة فيها 400 ألف دينار، يكسب من الموتى الكثير، عادة ما يتكئ على باب المشرحة وبيده سجله وقلمه محاولاً الكتابة عن الجثث التي حصلت على إقامة في المشرحة، قبل أن يكتب أيَّة كلمة ناداه أحد الموظفين مقاطعاً، نهض مسرعاً نحو الموظف فأخبره الموظف عن انفجار حدث للتو، قريب من المستشفى، وأنّ عليه ترتيب ثلاجة الموتى كي تتسع للجثث القادمة، وضع سجله وقلمه بجانبه وبسرعة ارتدى سدرية العمل ودخل، نظف الأرضية

بالمعقم وأحضر الأسرَّة الجديدة، وأثناء عمله دخلوا عليه بالجثث، أخذ يساعد الموظفين رغم كونه حارساً وعامل نظافة ولا علاقة له بالأمر، أنزلوا طفلاً وامرأة كبيرة ورجلين وفتاة، قبل خروج الموظفين قال أحدهم سوف نأتي بالمزيد، عليك أن توفر مكاناً داخل الثلاجة.. وخرجوا، طفق يتقرب من الجثث لعله يحصل اليوم على شيء، عندما اقترب من الفتاة وجدها حاملاً. اقترب من بطنها. رفع يدها وأنزلها. تركها وخرج. وقف عند الباب، أمسك سجله وقلمه مجدداً، أشعل سيجارة وهو سارح في الكتابة، تذكر بأنَّه لم يشاهد أي أثر أو إصابة على الفتاة، عاد مسرعاً وقلّبها عدة مرات؛ فلم يجد بجسمها أي خدش أو إصابة، حتى إن ثيابها لم تتسخ ولا توجد عليها قطرة دم واحدة، أخذ يفكر كيف ماتت تلك الفتاة، قد يكون بسبب نزيف داخلي أو ربما توقف قلبها من الصدمة، اقترب مرة ثانية وبدأ يقلّبها ويلمسها بعناية، رفع شعرها بيده ودون شعور لمس صدرها فتحسس شيئاً ما، مدّ يده فوجد داخل الحمّالات ورقة أخرجها وعرف أنّ اسمها ثرية، ولم يستطع أن يقرأ شيئاً لأنَّ كلَّ ما كان مكتوباً فيها بالإنكليزية، مدَّ يده لإرجاع الورقة، تلمّس حلمة الصدر فجفل من شدة رقتها وتركها بسرعة لأنَّه لا يقاوم رغبته الجنسية مع الموتى؛ ففي أحد الأيام رآه أحد الموظفين يمارس الجنس مع شاب شعره طويل وأشقر، كان كلّ شيء سليماً بجسد الشاب إلا

ذراعيه كانا مقطوعين وحين شاع الخبر في المستشفى حاول المدير طرده لكن عدة اطباء وقفوا معه؛ لأنَّه كان يساعدهم بخروج جثث دون علم أحد، ولم يطرد. ذهب إلى المرأة الكبيرة وقلبها عدة مرات لكن لم يجد شيئاً، تقرب من الرجلين وقلبهما أيضا لكن اليوم لم يجد أي شيء سوى الورقة التي تحملها الفتاة عاد إلى الفتاة مجدداً ظن أن هذه الورقة قد تكون شيكاً وممكن أن يحصل على أموال كثيرة بسبب الورقة، أخرج الورقة وخرج يحاول معرفة ماذا مكتوب بداخلها، صادفه أحد الأطباء فأخرج الورقة له قرأها الطبيب وقال له هذه الورقة لإجراء عملية ولادة، سحبها من يد الطبيب وعاد مسرعا، دخل وهو غاضب وقف قرب الفتاة مدَّ يده في جيبه كي يرجع الورقة في مكانها فشقَّ القليل من ثيابها. ظهر جزء صغير من صدرها فلم يقاوم المنظر، كبر الشق حتى خرج صدرها بالكامل، لمسه عدة مرات ونزل يقبله، ودون شعور كبر الشق حتى صارت عارية تماما، تفاجأ لبياض جسدها المفرط ورائحته الطيبة، نظر إلى الباب رآه مفتوحاً أغلقه وعاد، ركب فوق الفتاة دون أن يهتم لبطنها الكبيرة ومارس معها بشراهة وهو يمارس وضع يده فوق عنقها وأخذ يتحرك فوقها بقوة فشعر بأنَّ شيئا ما ينبض توقف ووضع أصبعه على مكان البلعوم فوجدها تتنفس ببطء، لم يصدق الأمر، خرج بسرعة إلى صالة الطوارئ وسرق إبرة

مسكن ومغذّ وعاد إلى المشرحة أغلق الباب ووضع الفتاة على بطنها وزرقها الإبرة، قلبها على ظهرها وعلّق المغذي لها ثمّ خرج يدخن سيجارة، حين أكمل سيجارته دخل وأغلق الباب، اقترب من الفتاة وضع يده على قلبها ارتاح قليلا لأنَّها ما زالت تتنفس، نظر إلى المغذي الذي أوشك على الانتهاء فسحبه ورماه على الأرض وتمدد قربها في نفس السرير، لم يقاوم تقبيلها على ظهرها، ولشدة عذوبة الفتاة ركب مجددا فوقها ولم يهتم إلى بطنها وأخذ يمارس بقوة وعذوبة كبيرة.

مرت أيام على إبراهيم لم يكتب أو حتى يذهب إلى البيت في أوقات إجازته كان مهتماً بالفتاة لا يتركها أبداً يغسل ثيابها تارة ويضع لها المغذي تارة أخرى، حتى إنَّه وضع سريره قرب سريرها، وكأنَّه وجد نفسه مع تلك الفتاة كان يحدثها طوال الليل ويقرأ لها قصصا وفي كلِّ صباح يغسل شعرها الطويل ويجلس ساعات يمشطه، ويدفئها جيدا، مكوثه داخل الثلاجة أثأر شكوك الموظفين مما أدى إلى مراقبته، وحين عرفوا بأنَّ لديه علاقة بفتاة ميتة، استغرب الجميع من حالته فظنوا أنَّه أصبح مجنوناً، وصل الخبر إلى مدير المستشفى فأمر بفصله فورا، حين وصل الخبر إليه من أحد الموظفين؛ لم يصدق ورفض بقوة ودخل إلى الثلاجة وأغلق الباب كأنَّه داخل بيته،

في صباح اليوم التالي أتى الموظف ومعه شرطيان، طرق الموظف الباب، لكنَّه لم يفتح كان يجيبهم من خلف الباب، فاضطر الشرطيان لكسر الباب، وحين دخلوا يحاولون إخراجه وجدوه حاضناً الفتاة وكان طفل صغير بينهما يصرخ، أمسك به الشرطيان وأخرجاه إلى سيارة الإسعاف حتى يتم نقله إلى مستشفى الأمراض العقلية كما أمرهم المدير.

كان يصرخ ويبكي وهو يرى الطفل بيد الموظف يحمله إلى داخل المستشفى.

صابر

على عكس بقيّة الجنود كان صابر يكره نزوله إلى المنزل، كان يقضي إجازته في وحدته التي تقطن في الصحراء الكبيرة، بعد أن ماتت أمه - بمرض السرطان المنتشر في الآونة الأخيرة بين أبناء المدينة - وهو يحاول أن يبتعد كلَّ البعد عن المنزل، مما أثار فضول بعض القادة لكنَّه كان كتوماً ولم يخبر أحدا، كان الجنود يظنون أنَّه محب لوطنه، تعرض لأكثر من إصابة لكنّه مصر على موقفه بعدم النزول في إجازة، كُرّم أكثر من مرة لشجاعته وبسالته في المعارك الأخيرة ضد عصابات همجية ومدربة على نحو ممتاز، ميّزه لون بشرته المختلف عن بقية أبناء جلدته، أسود طوخ، شبّهته أمه ذات ليلة بلون عباءتها، لم يتزوج حتى الآن وكلما تقدّم إلى خطبة امرأة يرفضونه بسبب العنصرية، كان يمارس العادة السرية بانتظام ولديه رغبة جنسية فظيعة؛ فهو مستعد لممارسة الجنس مع أيِّ كائنٍ يتنفس،

يعرف أكثر من وضعية للممارسة، أخذ يعلمها لكلِّ الجنود، حتى أنّه في الفترة الأخيرة صنع عضواً أنثوياً اصطناعيا عبارة عن إسفنجة، يضعها في علبة ويفتحها من الوسط، أخذ هذا العضو المحلي الصنع يدور على كلِّ الجنود هنالك وفي الليل يعود إليه.

مؤخرا أصابه الملل من طريقة الممارسة وبدأ يبحث عن شيء يجعله أكثر متعة وبهجة، وفي أحد الأيام مرّ راعٍ مع أغنامه، أسرع باتجاهه وعقد معه اتفاق دون علم بقية الجنود، قال للراعي بأنَّه سيستأجر إحدى النعاج ليمارس معها يوميا ويعطيه أجراً، وافق الراعي.

أخذ الراعي يأتي كلَّ يوم بتلك النعجة السوداء التي تشبه لون بشرته ويمارس معها بطرق مختلفة، وفي كل مرة يشعر بارتياح فظيع، أما النعجة فهي الأخرى مستمتعة ولم تبد أيّ اعتراض أثناء الممارسة ولا تتعبه حين يحاول أن يمارس معها بطرق مختلفة.

مضت الأيام على صابر وهو يمارس مع تلك النعجة بالخفية، وذات يوم اتفق مع الراعي أن يعطيه نقوداً أكثر على أن يجعلها تمكث معه ليلة، وافق الراعي بلا تردد، أخذ صابر يبيتها معه في إحدى الغرف ويمارس معها ويحضنها وينام كأنَّها إحدى الفتيات الجميلات،

كان يداريها ويأتي بطعام جيد لها ويسبحها كلّ ليلة ويمشط لها، أصبحت النعجة كلّ حياته وفي أحد الأيام كان مستيقظا ينتظر

ذلك الراعي يأتي بحبيبته لكنَّه تأخر، أخذ القلق يتسلل إليه وهو ينتظر الراعي لكن بلا جدوى، لا الراعي جاء ولا النعجة السوداء.

مرَّ أسبوع ولم يأت الراعي، ازداد قلقه حتى قرر ترك وحدته ذات مساء وخرج يبحث عن الراعي لعله يجده في إحدى زوايا الصحراء الكبيرة لم يبال بشيء، كانت النعجة لم تفارق باله، بحث في الصحراء ليومين حتى وجد الراعي، كان عصبياً ولم يقل شيئاً، ركض نحو النعجة واحتضنها وشرع يبكي، لم يصدق الراعي ما يحدث وقال: إنك مجنون، هل أحببتها؟ لم يرد وسحب النعجة محاولا أن يأخذها فصرخ الراعي إنَّها لي، أخرج صابر كلّ ما بجيبه من نقود ورماها في وجه الراعي وقال إياك أن تقترب منها ثانية.

عاد صابر مع نعجته وعادت المضاجعة اليومية، كان يمارس معها على نحو يجعلها تسقط على قدميها لشدة الألم، لكنَّها تبتسم حين ينظر إليها، وتطلق أصواتاً كدلع النساء، جعلها تمكث في الغرفة طوال الوقت خوفا عليها من الجنود المستهترين، كانت الغرفة مرتبة بشكل رائع وكلّ شيء في مكانه الصحيح، لوحتان على أحد الجدران، كرسي قرب الباب، سرير فوقه ساعة جدارية مغطى بقماش أبيض كأنَّه سرير فتاة تزوجت للتو، وبعض الأطعمة في نهاية الغرفة،

نالت النعجة كلَّ شيء حتى في أحد الأيام تشاجر مع زميله حين وجده يحاول أن يفتح باب الغرفة على النعجة، أوشك على

فقدان عقله ساعتها، أخذ يقضي جلّ وقته بالمضاجعة مع النعجة، حتى مارس معها ذات ليلة بطريقة مختلفة وجديدة، نوّمها على الأرض كأي فتاة وفتح رجليها على وسعهما وأخذ يلحس عضوها لنصف ساعة تقريبا، لم تحرك ساكنا النعجة وأخذت تطلق آهات كثيرة، وبعد ذلك ربط عينيها بقطعة قماش وقام يمص ثدييها، وحين أكمل ربط يديها على سرير وأتى بقطعة شوكولاتة ووضعها على فمها وأخذ يقبلها ببطء حين انتصب قضيبه وضعه بين ثدييها وفي فمها حتى قذف داخل فمها؛ وانتهى، جلس للحظات وعاد لمضاجعتها أكثر من مرة وكان في كل مرة يقذف في جوفها.

مضت على صابر ونعجته التي أطلق عليها اسم "تسواهن" أشهراً، أصبحت النعجة أكثر هدوء وانفتحت شهيتها على الأكل وأخذت بطنها تكبر يوما بعد يوم لكن هذا الشيء لم يقتل رغبة صابر بالممارسة اليومية؛ حتى إنه ذات ليلة تلمّس بطنها بعد الممارسة فوجد أنّ شيئاً ما في داخلها يتحرك. لم يصدق وأخبر الراعي في صباح ذلك اليوم. ابتسم الراعي ورد عليه بأنَّها حامل. فرح كثيرا ووضع اسم للمولود دون تردد، إذا كان أنثى سوف يسميها "غزال" على اسم حبيبته التي تركته بسبب لونه، وإذا كان ذكراً "محيبس" على اسم والده. أخذ يداريها ولا يجعلها تنهض كثيرا واخذ يطعمها بيديه كل يوم ويشربها، ذات يوم نجا من الموت بأعجوبة بعد أن

سقطت عدة قذائف على مقرهم، كان طوال اليوم حاضناً إياها ويهمس بأذنها، سوف تنتهي هذه الحرب القوادة لا تخافي، في الصباح أخبروه بأنَّ أخاه في المنزل وقد تعرض إلى حادث ولابد أن ينزل ليزوره، فكّر أن يخذها إلى المنزل لكنَّ الأمر صعب عليه، وضعها أمانة عند صديقه في الوحدة ونزل إجازة بعد مدة طويلة، وأثناء وصوله إلى المنزل وجد أخاه ممداً على سرير قديم وينظر إلى شاشة التلفاز، بعدما ألقى التحية، ظهر عاجل على الشاشة بأنَّ وحدته تعرضت إلى هجوم قوي وقتل أغلب الجنود والبقية أمسكوا بهم كرهائن، صدم من الأمر واتصل بصديقه أكثر من مرة لكنَّه لم يجب، وبعد لحظات بث تسجيل فيديو من الأعداء يظهر به كيف يقومون بذبح الجنود ومن بينهم صديقه، أخذ يصرخ بقوة، بعد أن انتهى التسجيل، أعيد على غير قناة فركز به بصمت حتى صرخ ثانية، لكن هذه المرة كانت الصرخة من داخله "تسواهن".

حين انتبه أخوه إلى الشاشة وجد نعجة خلف الجنود تطلق آخر أنفاسها وتحتها بركة دماء وطفل صغير أسود البشرة لديه أطراف نعجة يشبه صابر بسواده.

زواج المصخم

"لا يمكن للمرء أن يكون سعيداً إلا إذا كان غير مبال" هذا ما حفظه مشتت من جدته المتوفية قبل سنة من الآن، وكان لهذا القول تأثير كبير في نفسه ويطبقه دائما، مما جعله معروفاً بين أقرانه بصاحب النكات المتبسم دائما، استمرت دعاباته تزداد يوماً بعد يوم حتى توافد الكبار والصغار إلى منزله كي يقظوا أوقاتا مليئة بالفرح والضحك المستمر، كان بارعا باختيار النكات، وأصبح في الآونة الأخيرة هو من يؤلف النكات ويقولها بطريقة سحرية ومضحكة أكثر من قبل، حتى انتشر عنه مقطع فيديو يلقي به نكات عن أحد رجال الدين؛ مما أدى إلى تورطه مع معجبي هذا الرجل فتلقى أكثر من تهديد، ولأنه غير مبالٍ ولا يحب الهواتف الحديثة لم يعرف لماذا حتى أخبره أحد الأصدقاء بذلك فاضطر إلى تصوير فيديو آخر يعتذر به لرجل الدين، لكن ما حدث لم يؤثر عليه بالعكس زاده قوة لأنَّه

أصبح من الشخصيات المؤثرة في المجتمع، فعمل صفحة على الفيس بوك وأخذ يبث كلّ نكاته فيها، حتى صار حديث الشارع، سرقت النكات حياته لم ينم في الليل لأنَّه يؤلف وفي الصباح يصور الفيديوهات، أصبح نجماً لامعاً في مدينته الصغيرة بل في البلد كله، وفي أحد الصباحات تلقى رسالة على الفيس بوك من إحدى الشخصيات المعروفة يدعوه إلى برنامجه الساخر، لم يكترث للأمر لكنه ذهب إلى العاصمة التقى بالشخص الذي طالما دعاه للبرنامج، لم يتأخر اللقاء وعرف عن نفسه وحكى كم نكتة وخرج، بعد أيام بث اللقاء وكان كفيلاً بتألقه أكثر وجعله من الشخصيات المهمة في عالم الكوميديا لم يتأخر اللقاء الثاني كثيرا، كانت صاحبة الدعوة امرأة وبرنامجها ليس ساخرا؛ لم يرفض وذهب إليها في صباح اليوم التالي التقى بالفتاة وكانت بالنسبة له كالحلم؛ لم يكن هو وحده ضيف كانت معها شابة عرف اسمها بعد مناداتها من قبل المقدمة كان اسمها جنة أراد أن يمازحها لأنَّها جميلة وكأنَّها الجنة التي يود الدخول فيها كل البشر، لكن جنة كانت صامتة لم تجب بأي حرف، ظنها خجولة، وتأكد بعد أن أكمل التصوير بأنَّها خجولة فعلا ولا تتحدث مع الرجال إلا نادراً، طلب رقم الهاتف لكنَّها لم تعطه بل أخذت اسمه في الفيس بوك ووعدته أن تضيفه ولم تتأخر فبعد ساعات أوفت بوعدها، استمر مشتت بإرسال النكات لها وهي ترسل له أشعارها

حتى كان للحب نصيب بينهما؛ بعد أشهر طلب منها الزواج لم تتأخر بجواب ووافقت وبعد أيام خطبها؛ كان سريعاً بهذه الخطوات كي لا يحصل شيء ويتعطل زواجهما مما أدى إلى تحديد يوم الزواج، الخميس القادم، كانت النكت صاحبة الفضل عليه وأخذ يكرس حياته بتأليف النكات واختراع طرق جديدة لإلقاء النكتة، لم يعرف ما مصير الحلقة التي صورها في ما سبق عن حياته وحياة جنة في ذلك البرنامج الجادّ والذي كان غير موفق به حسب أقوال أصدقائه لأنَّه كان غير مرح، وكانت جنة الشاعرة الخجولة هي من سرقت الأضواء منه، كانت جنة شاعرة تقليدية لكنَّه لا يعرف شيء عن الشعر فكان يظنها أحسن شاعرة بالعالم.

اليوم هو يوم الخميس..

أكمل مشتت كلَّ الأشياء التي يفعلها العريس في هذا اليوم حلق شعره ورتبه واشترى بذلة باهظة السعر، أما الدعوات فأكملها قبل يوم، لم يتبق الكثير من الوقت على دخوله عش الزوجية، كان يرقص ويغني بصوت عال، بدأت الحفلة الكبيرة أمام منزله واختلطت أصوات المهنئين مع أصوات مكبرات الصوت وبدأ الكل يرقص، كانت أمه ترمي الحلوى فوق الشباب وبعض الفتيات يشاهدن المشهد من خلف الأبواب أو من على شرف المنازل القريبة، مضت

الساعات كأنَّها لحظات على الجميع حتى الحاقدين والذين يكرهونه بسبب تميزه، انتهت الحفلة دون مشاكل على العكس من الحفلات التي تقام في الحي، لحظات ووجد نفسه داخل الغرفة المتوسطة مصبوغة الجدران بألوان بنفسجية مع أثاث حديث وسرير مغطى بفرشة حمراء على شكل قلب، ووسط القلب جالسة جنة ببذلتها البيضاء وتسريحة الشعر المثبتة بعناية، وبعض الأوشام على اليد اليسرى ومنطقة الصدر اقترب منها مرتبكاً حاول أن يضحكها بقول نكتة لكنَّها كانت أكثر خجلا من لقائهم الأول مسك يدها وقبّلها وأطلق نكتة جديدة؛ ابتسمت قليلا اقترب ببطء وأخذت أنفاسهما تختلط معاً وقبلها ومدّ يده إلى ظهرها كي يفتح سحاب البذلة، فتح السحاب ونزعها وأخذ يقبل عنقها وفجأة شعر بقرصة في قضيبه حاول ألا يهتم لكنَّ الألم استمر فتركها وذهب إلى الحمام وفور وصوله نزع البنطلون وإذا بقضيبه يسقط أمام عينه، بقي جامداً مرتبكاً يرتجف لا يصدق ماذا يحدث؛ التقطه من الأرض ويداه ترتجفان أخذ ينظر إليه ويبكي بصمت، شعر بالبؤس والعجز من أن يفعل شيئاً، استمر ينظر إلى قضيبه ويكلم نفسه خوفا من جنة.

كيف لشيء مثل قضيب متماسك وقوي أن يقلع من مكانه دون قطرة دم؟ ظن بأنَّه داخل حلم ما، فأخذ يصفع نفسه لعله يستيقظ، لكن هو في الواقع ولا مفرّ من الأمر، لحظات وطرقت جنة

باب الحمام ونادته، تأكد هنا بأنَّه في الحقيقة لكنَّ الصدمة جعلته لا يعرف ماذا يحدث، فتح الباب وخرج من غرفته وهرب خارج البيت راكضا وبيده قضيبه، ضجت الناس بالكلام وبدل أن يكون نجم البلد بالنكات تحول إلى شخص دون قضيب وهارب من كلام الناس، بعد أيام اتّهموا زوجته بأنها قطعت قضيبه وألقي القبض عليها للتحقيق.

هو ما زال مختبئا لا يعرف أحد مكانه بعد أيام بدأت أظافر يده تتساقط هذه المرة دون ألم مما جعله أكثر خوفا وقلق، خبأ وجهه وأسرع إلى أحد الأطباء المشهورين وأخبره بما جرى استغرب الطبيب وأخذ له كل الفحوصات وطلب منه أن يأتيه في اليوم التالي.

في صباح اليوم التالي ذهب مسرعا إلى العيادة التي تعجُّ بالمراجعين، كان صامتا ينظر إلى رجل أمامه ويحسده لوجود قضيبه، تمنى لو أنَّه مصاب بعقم وينتظر دوره بالمعالجة على أن يفقد قضيباً مع خصيتين إلى الأبد، بعد فترة دخل على الطبيب وجده يقرأ بالفحوصات جلس مشتت على كرسي وانتظره حتى أكمل، وبارتباك سأله:

- ماذا يجري دكتور أريدك أن تخبرني بالله عليك لأنَّني سوف أجن ولم أنم منذ أيام.

رد الطبيب بصوت منخفض وهو يمسك بالفحوصات:

- سوف تموت بعد أيام.

انتفض مشتت ونهض وبقي يصرخ بالطبيب ويشتم لكن الطبيب كان هادئا وحاول أن يمتص غضبه دون جدوى فأخبره بكلِّ شيء:

- في سفري الأخير لدراسة بعض الأمراض قمت بعدة أبحاث عن حشرة اسمها"المفتتة" هذه الحشرة الصغيرة جدا حين تلدغ أحدا يتفتت مع مرور الأيام، وهي تلدغ شخصاً واحداً كلّ ألف سنة، ولا يوجد علاج لها حتى الآن، فما عليك سوى أن تستلم للأمر، سوف أكتب لك مهدئات فقط.

خرج مشتت بصمت وحيرة، أخذ يندب حظه العاثر، لكن سرعان ما عاد لروح الفكاهة التي لم تفارقه حتى في ظروفه هذه، وحافظ على الابتسامة وتأليف النكات، قرر أن يخبئ النكات تحت وسادته أما قضيبه فوضعه بعلبة زجاجية داخل الثلاجة كي لا "يخيس"، بعد يومين استيقظ مشتت صباحا بيد واحدة فقط كانت الثانية بقربه على السرير ارتعب وحملها، حدّق فيها لساعات وتتحسس مكانها، حاول أن يرجعها مثل ما يفعل الأطفال بالدّمى لكن بلا جدوى، حمل يده ووضعها بقرب قضيبه في الثلاجة وعاد إلى سريره حزيناً مكتئباً طغى الحزن على مشتت وظّل أياماً دون أن يكتب أو يقول شيئاً، صامتا طوال الوقت يفكر في الانتحار لكنَّه

جبان حاول مرتين وفشل، بعد عدة أيام وهو جالس يشرب الشاي سقطت أذناه؛ كسر صمته بالبكاء والعويل طوال اليوم، وفي ظهيرة اليوم التالي فقد قدميه ويده. كان عبارة عن أنفاس تصعد وتنزل، يصرخ ويرجو بصوت عال لعل أحدا يسمعه ويخلصه من عذابه وفي أحيان كثيرة يغمى عليه بسبب الصراخ المستمر، كان يطلب المساعدة طوال اليوم، ظلّ على حالته ثلاثة أيام ثمّ انقطعت أنفاسه، تفتت كأنَّه بسكويتة سحقت بقدم، مات مشتت. كان موته مختلفاً مثل نكاته. منذ ذلك اليوم المشؤوم والناس لم يكلوا عن الحديث عنه.

صالح

الشيء الوحيد الذي يغضب الموتى هو البكاء، عرف صالح ذلك حين عصر أحد الموتى يده وبكى أثناء تغسيله، عندئذ تبين له أن الأموات يعلمون بكلّ ما يجري لكنَّهم لا يتدخلون. في الماضي كان غسل الأموات عملاً شاقّاً ومكروهاً أمّا الآن فالعمل يسير، ليس لأنَّ الأموات أصبحوا قليلين بل لقلة أعضائهم؛ فالجثث التي تأتيه ليست كاملة أو بالأحرى ليس هنالك جثث؛ مجرد قدم بمفردها، يدين، كومة لحم مختلطة، أعضاء غير معروفة، هكذا جثثنا، لكنَّ صالح كان يجد لكلّ شيء مبررا، عندما غسّل يداً لأول مرة، حدّث نفسه وهو ينظر إلى الباب: ربما صاحب اليد سوف يدخل ويفاجئنا لأنَّه ليس ميّتاً قطعت يده فقط. ظلّ يبرر لكلّ عضو تابع لجثة أن صاحب العضو المقطوع ليس ميتاً بالأصل. في صباح أحد الأيام الطويلة استيقظ مبكرا كوى بذلته وأحضر ربطة العنق المناسبة للون بذلته

الأسود، صفف شعره ووضع عطره المفضل، كلّ الذين يرونه يظنون أنَّه ذاهب إلى اجتماع أو موعد غرامي وكان يجيب دائما بأنَّه مغرم بعمله في الآونة الأخيرة لا شيء غيره ولا يصلح لشيء سوى غسل الأموات، أما زوجته فلا يثيرها أي شيء؛ بدأ الأمر يقلقه كثيرا لكنَّه يعلم جيدا أنَّها لا تريد شيئاً سوى الجنس، الشيء الوحيد الذي لا يقدر أن يوفره لها، لأنَّه بلا قضيب فمنذ سنة تقريبا عندما قُطع قضيبه بإحدى الانفجارات لم يمارس معها مما أدى إلى زرع الشكوك بداخله فقام يراقبها بصمت، وفي صباح أحد الأيام الصيفية الحارة بعدما ذهب إلى العمل، حدث شجار كبير بينه وبين أحد أبناء الميت بسبب سعر التغسيل، أدى إلى كسر أنفه، وعندما عاد إلى منزله رأى زوجته تضاجع أحد شباب الحيّ؛ أنساه الموقف الألم، بكى وندب حظه بعدها عاد إلى المغتسل بعينين منتفختين مدد نفسه على دكة المغتسل لساعات دون كلام، وفجأة دخل عليه أحد أصدقائه وحين رآه بهذه الحالة أصرّ عليه ليتكلّم، وبعد انتهاء حديثهما قرر صديقه أن يساعده فدلّه على أحد السحرة وكيف عالج الكثير من الحالات المستعصية التي عجز الأطباء عن شفائها؛ عندئذ قرر صالح الذهاب إليه لعله يجدي نفعا، لم يتأخرا كثيرا في الذهاب إلى المعالج أو شيخ المعالجين كما يطلق عليه من أبناء الحي، توقفا فترة في عيادته البسيطة بعدها دخل صالح لوحده ولم يسمح لصديقه بالدخول،

لم يستح من الأمر الذي طالما أزعجه وكتمه في صدره طيلة الأيام الماضية، سرد للمعالج كلّ شيء حتى التفاصيل الصغيرة والبسيطة وغير الضرورية تكلم عنها. بعد أن أكمل ابتسم المعالج وطلب منه الاطمئنان، استرخى قليلا وعاد إلى طلب العلاج، نهض المعالج وجلس قربه وهو مبتسم ابتسامة حقيرة بعض الشيء وهمس له:

"علاجك موجود، بكلّ بساطة تأكل عشر عيورة نية".

وقف منتفضاً وصرخ بالمعالج"احترم نفسك".

انزعج المعالج لكن سرعان ما تدارك الموقف، "من حقك الانفعال علاج غريب بس فعال".

لم يتكلم خرج على الفور كان غاضباً وتشاجر مع صديقه لأنَّه أتى به إلى هذا الكذاب.

في اليوم الثاني لم يتمكن من إخراج كلمات المعالج من رأسه مفكّراً ومشككاً بالأمر، حتى دخل عليه مجموعة شباب ومعهم ميّت، رتّب أدوات التغسيل وأخذ يغسله حين اقترب من قضيب الميت، تذكر كلام المعالج فكر قليلا وبعدها طلب من الشباب الخروج اقترب من الرجل وقطع قضيبه بموسى حاد ووضعه في جيبه حين خرجوا أغلق الباب وجلس على دكة المغتسل يتأمل القضيب وكيف يقوم بأكله، قربه من فمه تذوق مقدمته بصق في الأرض وتقيأ وأخذ يشتم، أرجعه في جيبه وخرج، أتى ببعض الشكولاتة السائلة ووضعها عليه

وقطع رأسه وأخذ يلوك رغماً عنه وبلعه، عاد إلى التقيؤ وبقى يوماً كاملاً بلا أكل إلى صباح اليوم التالي، وحين كان في طريقه إلى المغتسل أخرج القضيب وأخذ يقطعه ويأكل دون أي ردة فعل، تخيله لحم خروف أو فخذ دجاج وعندما أكمله كله"تخربط" لشدة التقيؤ مما جعله يمكث يومين في المستشفى، بعد أن خرج عاد إلى العمل وفي الظهيرة دخلوا عليه بجثة لشخص أسمر اللون وعندما قام بغسله أمسك قضيبه تفاجأ لطوله وكالعادة طلب من الأهل الخروج وقطعه ووضعه في جيبه، كان بارزا جدا مما يجعل الأهل ينتبهون، أمسكه ووضعه في خزان ماء وعندما انتهى من التغسيل وخرجت عائلة الميت أخرج القضيب أمسكه كان طويلاً جدا وكأنَّه منتصب، غسله ووضع عليه ملح وبعض الأشياء التي سرقها من المطبخ وقضم مقدمته، كان طعمه يختلف عن الأول أكل الرأس وقليلا منه وترك الباقي للغداء، في الغداء أخرجه فوجده منكمشاً وذائباً من الملح كأنَّه مطبوخ أكله كله دون أن يتقيأ، لم يصدق نفسه، ظن أن الملح وبعض الحمضيات هي السبب بتقبله لأكل القضيب دون تقيء، مر أسبوع ولم تأته أيّة جثة لرجل؛ أخذه القلق لأيام، حين يجلب له ميّت لتغسيله يسأل عائلة الميت عن عمره فإذا كان طفلاً لا يستقبله، قلّ دخله بعض الشيء وعلاقته بزوجته توترت أكثر فاضطر أن يمكث يومين في المغتسل تجنبا للمشاجرة المستمرة،

بعد ملل وخمول تمدد على دكة المغتسل كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة ليلا، سمع لغط بعض الرجال في باب المغتسل نهض وخرج فوجد مجموعة من الرجال يبكون على شاب محترق طلب منهم أن يدخلوه؛ وضعوه على الدكة طلب منهم أن يخرجوا كي يعرف كيف يشتغل، حين خرجوا أسرع نحو قضيبه فوجده سليماً، ابتسم وأخرج "الموس" وحين وضعه على مقدمة القضيب صرخ الرجل بصوت منخفض، رجع صالح إلى الوراء وبدا الخوف على وجهه اقترب منه مجددا ووضع يده على قلبه فوجده ينبض مما أثار الرعب بقلبه، لكن كانت رغبته بمعالجة أمره أهم من الشاب، أخرج الموس وقطع قضيبه، أخذ الشاب يئن مما جعله يرتبك كيف يعالج الأمر وعائلته في الخارج، قرر أن يقتله ويتخلص منه؛ فهو ميت في الحالتين، اقترب من وجهه ووضع يده على أنفه وفمه حتى سكتت أنفاسه، غسّله وكفنه وسلّمه إلى عائلته في الخارج. بعد خروجهم شعر بتأنيب الضمير لكن لم يستغرق الأمر كثيرا حتى أخرج القضيب من جيبه وأكله بدون أي شيء وبلذة لأنَّه كان جائعا، عاد إلى بيته منتشياً بعض الشيء، بقي يومين دون أن يخرج، يحاول أن يصالح زوجته لكن كلّ المحاولات باءت بالفشل، وكانت تقول جملتها التي حفظها عن ظهر قلب، "من الأخير أنا أريد نيك"، تركها وخرج في اليوم التالي جلس يتحسس مكان قضيبه فوجد أشبه بنتوء صغير،

لم يصدق، فقرب المرآة من المكان فوجد أشبه بالقضيب صغير وهو ينظر لم يسيطر على دموعه، أخذت تسيل بقوة مسحها وتوضأ من مياه المغتسل وصلّى ركعتين شكراً لله. وبعد أن أكمل سمع أصوات لغط فعرف أنها جثة قادمة. قام بتحضير الأدوات بروح مليئة بالنشاط والحيوية، لحظات ودخلوا عليه بجثة لرجل في الأربعين من عمره. أول ما طلب من عائلته هو الخروج، خرجوا وذهب بسرعة إلى قضيبه يتفحصه فوجده، قطعه ووضعه بجيبه، بعدها جاء مجموعة رجال بجثة شاب، كالعادة طلب من عائلته الانتظار خارجاً وأسرع إلى أير الميت وقطعه ووضعه في جيبه الثاني وأكمل تغسيله وسلمه، حين خرجوا أغلق المشرحة وعاد إلى البيت بسرعة ووضع كرسي فوق سطح المنزل وأخرج أحد الأيرين ووضعه في صحن وعصر عليه بعض الليمون ورشه بالملح وأكله وترك الآخر للعشاء، لم يأكل شيئاً من الظهيرة حتى حل الليل فأخرج القضيب الثاني وأكله في الحديقة، دخل إلى النوم قبل زوجته بساعتين حتى يتجنب المشاجرة اليومية المملة، وفي الصباح قبل أن يخرج وعدها بأنَّه سوف يجد حلّا في أقرب وقت فضحكت عليه وأخذت تشتمه وقامت بلم أغراضها وثيابها وخرجت من المنزل، لم يتأثر لخروجها، مارس حياته بشكل طبيعي، لكن ازداد هوسه برؤية قضيبه كلّ دقيقة؛ أصبح كلّ همه هو أكل ما تبقى من علاجه، أما النتوء الصغير فأخذ يكبر لكن ببطء شديد؛

مما جعله يبحث عن الجثث في كلّ مكان لكن لسوء حظه ومنذ أسبوع لم تأته أيّ جثة، واكتمل تردّي حظه بكسر قدمه اليسرى وهو عائد إلى المنزل في إحدى الليالي، مكث في المنزل شهرين كان كئيباً وقليل الحركة بسبب قدمه مما أدى إلى نقص وزنه، أكمل الشهرين وعاد إلى العمل، قرر أن يسكن في المغتسل عسى أن يستقبل جثة.

في شهر يناير.. الأجواء شتوية والبرد يجعل سكان المنطقة في منازلهم أكثر الأوقات وخاصة بعد المغرب، لم يعد صالح إلى المنزل، رتب المغسلة وجعل في نهايتها غرفة صغيرة يسكنها، قلّ شغله؛ فقد هدأت الحرب، وأوشكت أمواله على الانتهاء، لم تأته الجثث؛ أقلقه الأمر وبدأت حالته تسوء، أصبح مزاجه سيئاً وطوال الوقت جسمه مرهق، ويمر بنوبات غثيان كثيرة، صامت ومنطو داخل غرفته الصغيرة داخل المشرحة، النتوء الصغير برزت ملامحه وأصبح قضيباً لكن بحجم أصبع قدم، هذا الشيء زاده قوة وإصراراً على إكمال علاجه الغريب والفعال كما قال شيخ المعالجين. كان متعباً وغير قادر على الحركة ولحسن حظّه لم تأته جثة كاملة، عادة تصله يد بمفردها، كومة لحم، قدم، أعضاء غير معروفة، وهذه المرة لم يبرر حياة أصحابها فقد كان يشتغل بصمت.

بعد عدة أشهر ساءت حالته، ورغبته في الطعام أصبحت معدومة حتى أصبح وزنه ثلاثين كيلو غرام، صار يشعر بضيق في

التنفس مع ارتفاع درجة الحرارة المستمر، يسعل طوال الوقت ويداه ترتجفان، أما قضيبه لم يكف عن النمو؛ أخذ يكبر شيئا فشيئا، وضعه كان صعباً؛ ففي إحدى الصباحات الشتوية استيقظ وحاول النهوض ولم يقدر. كان أشبه بالمشلول لا يستطيع أن يحرك أيّ شيء. ظلّ صامتاً لفترة حتى ضغط على نفسه وبقوة اتكأ على الجدار ونهض ببطء وهو يسعل، اقترب من المرآة ليرى قضيبه إلى أي حد وصل. حين رآه ابتسم لأنه لايزال ينمو. نتيجة لذلك قرر أن يذهب إلى المستشفى حتى يعالج نفسه من هذه الحالة ويرجع زوجته لأنَّه الآن بمقدوره ولو بشيء بسيط أن يجعلها ترتاح، بعد ذهابه إلى المستشفى لإجراء الفحوصات المخبرية اكتشف الأطباء أنه مصاب بالإيدز وفي مرحلة متقدمة ولن ينفعه أي علاج، في البداية لم يخبره الأطباء بشيء حتى مكث لمدة خمسة أيام في العناية المركزة في غرفة خاصة لا يدخل عليه أحد سوى الطبيب والممرض، بعد أن قرر أحد الأطباء حقنه بإبرة سامة ليقتله خوفا من انتقال المرض. كان صالح طوال الوقت بالأيام الماضية لم يفعل أي شيء سوى مراقبة قضيبه الذي أصبح كقضيب أيّ رجلٍ كامل وبحجم طبيعي رغم أنَّه لم يكمل العلاج. كان محظوظاً هذه المرة، لم يهتم لصحته وكان يطلب الخروج من المستشفى باستمرار وكانوا يرفضون بدورهم، وفي آخر ليلة قبل الحقنة كان ممدداً على سريره في غرفة العناية. أفلت من يده اليسرى

المغذي ومدّها نحو قضيبه بمجرد ما لمسه انتصب بقوة وأخذ يحركه بسعادة لا توصف. لم يهتم للألم مارس العادة السرية بعد سنوات طويلة ومرهقة وشاقة بحياته وقذف ولشدة سعادته لم ينم طوال الليل.

في الصباح طلب الخروج من الممرض لكن الممرض تركه ومضى دون كلام مما دعاه لأن يصرخ بعصبية. لحظات ودخل عليه الطبيب وبيده حقنة صرخ بالطبيب بأنَّه لم يعد يشعر بالألم وأن حالته جيدة.

طلب الطبيب منه أن يهدأ وقال له إنه بعد هذه الحقنة سوف يخرج. تمدد وأعطاه يده لحقنه وخرج وبعد فترة دخل عليه اثنان من الممرضين. وضعاه بكيس أزرق، أخذاه إلى سيارة الإسعاف.

كان متيبساً وأزرق اللون.

بعد عدة أيام انتشر خبر في الصحف بأنَّه تم حرق أكثر من ثلاثين جثة مصابة بالإيدز خوفا من انتشار المرض.

قدم ثالثة

اعتاد بشار على الألقاب ولم يبال حيال ذلك، فمنهم من يطلق عليه القزم، وآخرون يسمونه سميغل أما زوجته فتطلق عليه ألقاباً حسب مزاجها، مخنث، قزم، بلا فائدة، ضيمي، قهري، وكلّ يوم تزداد ألقابه أكثر، اليوم هو الأحد من العام الحالي، الأحد لديه كباقي الأيام التي يتحمل بها نكات العابرين السخيفة وسخريتهم منه بسبب قصر قامته، كان يخبرهم دائما أنتم تتركون الأشياء المضحكة حقا مثل أخطائي بالكلمات التي تتشابه بها الأحرف، أو وجهي الذي بلا شعرة واحدة حتى حاجبي، وتركّزون على شيء طبيعي وليس بمعيب، كان كأنَّه سقط من كوكب آخر لا أحد ينتبه لأحاديثه؛ فالكل منشغلٌ بقصر قامته، في كلِّ يوم يسمع نكات مختلفة تركز على قصره، مثل حين تعطس سيرتطم رأسك في الأرض وأخرى إنك"دولماية" تسير بقدمين. كلّ هذا يستطيع تحمله، لأنَّ لديه قلبا طيبا، كان يتحمل

كلَّ شيء إلا زوجته صاحبة القامة الاعتيادية يقول دائما بان الله ابتلى بها العالم كله حين خلقها وإنّه متندم كثيرا لفعلته، في كلِّ وقت لديها استعداد للمشاجرة لكنَّه يحبها كثيرا، لأنَّها الوحيدة التي قبلت به زوجا في هذه المدينة التي ابتلعت الحرب رجالها، كانت تعشق المضاجعة وكل همها هو الجنس لا غير، حتى إنها في مرات كثيرة كانت تطلب المضاجعة وحين يرفض، كانت تمارس العادة السرية أمامه، وفي أحيان كثيرة حين ينتهي من مضاجعتها كانت تأتي"بخيارة" وتضاجع نفسها أمامه، حين كان يسألها كانت تجيبه بعصبية إنك لم تشبع شهوتي، قضيبك قصير جدا كنواة تمر لا يمتعني، اكتشف أنَّها تخونه، حاول أن يجعل الأمر طبيعياً ويغض البصر لأنَّه بمجرد أن يفعل شيئاً سيكون خارج البيت. لم تمض سوى أيام حتى أخبرته بكلِّ شيء. كانت تبرر له بأنَّه ليس قصيراً فقط بل حتى قضيبه أيضا قصير جدا، وهذا ما يفقدها البهجة ويجعلها عصبية على الدوام وأنها خانته ليس لأنَّه زوج قصير بل لأنَّها تحتاج للجنس كما الأكل والشرب، وأخذت تقول يا زوجي إنَّ الله يعطي لكلِّ إنسان موهبة، وأنا موهبتي الجنس وأحتاج لقضيب يشطرني ويجعلني أتلوّى من الألم واللذة، قضيبك لا ينفعني، هو يجعلني ازداد شهوة عكس ما هو معروف عند الجميع.

مرت الأيام بسرعة على آخر كلام دار بينهما ولأول مرة شعر بالحزن لكن هذا لا يمنع السخفاء من الضحك عليه.

كان حزيناً؛ فقد كان يرى أكثر من شخص يدخل بيته. هذا الشيء جعله يغضب ويصرخ بهستيريا باكياً لكن دون جدوى. زوجته كانت مصممة على الجنس والممارسة كل يوم، أخذت الأيام تمر عليه وهو صامت ويبكي ولا يعود إلى البيت، حتى سمع عن أحد السحرة القادرين على كلِّ شيء حتى إحياء الموتى، فذهب إلى بيت الساحر وجلس لساعة وأخبره بكلِّ شيء، فأعطاه الساحر علاجين أشبه بأقراص الحبوب واحد لقضيبه والثاني لقامته، عاد إلى البيت في إحدى الباصات، جلس"قبل الأخير" وفي المقاعد الأخيرة جلس ثلاثة شباب، ظلّوا طوال الطريق يرمونه بالنكات التي أكل عليها الدهر وتغوط، فقال الأول له لا تسير في الزحمة لئلا تسحق بالأقدام أما الثاني فقال: حين ينجب هذا القصير أطفالاً سوف تخرج رؤوس بأقدام. أما الثالث قال ما شكل غرفة نومك أظن أنها بيت كناري.

في الحقيقة أفرحته أخر نكتة رغم أنّ صاحبها يقصد السخرية، فرح لتشبيه غرفته بغرفة طيور الحب، أخذ يفكر بالغرفة حتى وصل، ففي الباب سقط كعادته بسبب درجات الصعود غير المنتظمة، دخل بترابه وحذائه الذي خلعت قاعدته. فتح الكيس تفحص العلاج وتوجّه إلى الحمام وأخذ من العلاجين وذهب إلى غرفته بصمت.

في الصباح كان كلّ شيء كما هو، قامته نفسها وشتائم زوجته، حاول النهوض فأحس بشيء ثقيل فيه. نهض وقف أمام المرآة فوجد

قضيبه أطول من قدميه. استغرب وهو نائم ومدّ يده ولمسه، يا الله إنَّه حقيقي! أخذ يكلم نفسه، ماذا أفعل بقضيب بهذا الحجم كيف أتعامل مع قضيب طوله ثلاثة أمتار تقريبا، هو الآن غير منتصب وبهذا الطول كيف لو انتصب، خرج دون علم زوجته لكنَّه ارتدى سروالاً عريضاً كي يتجنب الفضيحة، ركب الباص لم ينتبه أحد له إلا فتاة كانت بجانبه. لحظات وامتلأ الباص، فطلبت منه امرأة حامل الجلوس بمكانه لأنَّها لا تقدر على الوقوف، وقف وحاولت المرأة الجلوس بمكانه؛ احتكّ قضيبه بمؤخرة الفتاة فانتصب بسرعة، كان الذهول وسط الباص وأخذوا يصرخون ما هذا الشيء؟ ماذا يحمل هذا القزم؟ حتى صرخ أحدهم إنَّه مفخخ، صرخ بشار محاولا السيطرة على الموقف بأنَّه يحمل عصى يتكئ عليها لأنَّه مصاب، قال لنفسه أيّ عذر أحمق قلت لهم؛ كان عليّ أن أخبرهم بالحقيقة. صار بموقف لا يحسد عليه، نزل بعيدا عن عمله، وأكمل الطريق سيرا على الأقدام وهو يسير بدأ يفكر، كيف أعمل الآن؟ عملي بالحلاقة يتطلب تحركات كثيرة، ماذا لو انتبه أحد الزبائن، حين وصل لقي زبون بانتظاره أخذ يحلق له وهو محافظ على المسافة بينهما حتى أخذ يلتقط الشعر من وجنتيه فانتصب قضيبه لا إراديا، لم يصدق ما رأى الزبون حتى تفحصه بيده وهو يضحك على قصر قامته وحجم قضيبه الطويل، انتشر الخبر في كلّ المدينة، وأصبح

علكة بأفواه أبناء المدينة، وأخذوا يقولون أقصر حلاق لديه أطول قضيب بالعالم، ليس لديهم شيء سوى من أين أتى به وأين كان يخبئه، وذات يوم أتت إحدى القنوات لتصور لقاء معه فرفض ليس خوفا من الفضيحة بل لأنَّه لا يجيد الكلام أمام الكاميرات، اشتهر في المجلات وأخذت صوره تملأ الشاشات الكبيرة والصغيرة، الكلّ من داخل المدينة وخارجها عرف إلا زوجته للآن لم تعرف شيئاً، كان خائفا أن يعود قضيبه كما كان. وفي إحدى الأيام استيقظ وقرر أن يقول لزوجته ما حدث، دخل عليها فوجدها نائمة. أخذ يدها ووضعها على قضيبه بصمت، وقبّلها. أبعدته بشتيمة، لكنَّه عاد ثانية للتقبيل فشتمته بصراخ فأخذ يدها الثانية وجعلها فوق قضيبه حتى انتبهت، وكأي شخص رآه لأول مرة تفاجأت. ظنت أنَّه يحمل شيئاً غريباً حين أمسكت به مجددا صدقت عينيها، طلب المضاجعة وعلى الفور أجابت بنعم، بعد أن قبلها ومرر لسانه على كلِّ جسدها، انتصب قضيبه حاول أن يدخله لكن المسافة كانت قريبة وحجم قضيبه أكبر بكثير مما كان عليه فرجع إلى الخلف وأتى مسرعا وأدخله من بعيد. صرخت صرخة واحدة وبعدها أصبحت كخشبة يابسة بلا أي نفس أو حركة، سحب قضيبه وأسرع نحوها قلبها ووضع رأسه على صدرها ليتفحص هل ما زال قلبها ينبض لكنَّه بلا أي نبض.

ماتت زوجته في ليلة مضاجعتها المحببة وبقضيب طويل، أخذ يصرخ يا لمصيبتي! بعد ساعات من الحادث أخذها في منتصف الليل إلى حاوية نفايات قريبة ورماها داخلها واخذ يسير باتجاه محطة القطار القريبة بعض الشيء من منزله، وهو يسير يضرب بقضيبه بقوة ويلومه. كان يعاقبه على فعلته حتى استقر جانب السكة وأخرجه وأخذ يبصق عليه ويداعبه ساعتين! استغرق وقتا حتى انتصب، أخذ يضربه أكثر حتى رأى أحد القطارات يسير نحوه فوضع قضيبه على السكة. كان كبيرا وعريضاً ومنتصباً كنخلة، مرّ القطار مسرعا فقطعه وكواه، أغمي عليه.

استيقظ في الصباح داخل إحدى الردهات في المستشفى وحين نظر إلى قضيبه وجده كنواة تمرة.

بلا أقدام إلى الأبد

قبل شهر خرجت عبير من عيادتها الكبيرة لعلاج العقم وأطفال الأنابيب، حدث انفجار كبير أدى إلى بتر قدميها بالكامل، كان الله يريد أن يجعلنا متشابهتين حتى في كرسي المقعدين، كانت عبير طوال الوقت صامتة وأنا كعادتي أشاهد الأفلام السكسية، في مرات كثيرة حاولت أن أجعلها تتكلم وأحكي لها: إنّك سوف تعتادين على هذا ثقي، لكن بلا فائدة، بقينا على هذه الحالة هي صامتة وأنا مغرمة بالسكسي، حتى ذات يوم قالت بصوت خافت، أريدك أن تساعديني بالانتحار. أنا لا أطيق أن أقضي حياتي بلا أقدام ولا أستطيع أن أفعل أيّ شيء، تقربت منها وحضنتها وأخذت أهون عليها، حبيبتي عبير أعرف أن الأقدام بصورة عامة لا تقل أهمية عن العيون والأيادي لكن العقل أهم وحين يفقد الإنسان عقله لا تنفعه أقدام ولا الجسد بصورة عامة أيضا، لا تفكري بهذه الأمور والحياة طويلة، مضت الأيام

وتعودت على حالها وعدنا إلى الممارسة مجددا، أول ممارسة لعبير دون أقدام أما أنا منذ الولادة بلا أقدام، واجهنا القليل من الصعوبة بالحركة لكن ليس مهما، أخذنا كلَّ يوم نمارس الجنس، هي تلحس فرجي وتدخل لسانها داخله، وأنا أفعل نفس الشيء، وبسبب جلوسنا الدائم أصبح الجنس والممارسة كلَّ حياتنا، أخذت الأيام تمر بسرعة علينا وفي أحد الأيام حاولنا أن نمارس مع الرجال لكن كلّ الذين نتعرف عليهم يرفضون بسبب عوقنا، هذا الشيء جعلنا نزداد ممارسة لوحدنا، حين "تساحقت" لأول مرة مع عبير أحسست بنشوة كبيرة لا أظن إنني سوف أنتشي لو فعلتها مع ألف رجل أسمر، كانت عبير كل الرجال قبل أن تفقد قدميها. كانت تمرر لسانها على كل شيء تقلبني يمينا وشمالا وتدخلني بغيبوبة عظيمة، أما الآن أنا من أقوم بذلك لكن ليس مثلها.

في إحدى الليالي بعد ما مارسنا بلهفة وحب ونشوة كبيرة احتضن كلٌ من الآخر، عاودني شعور الأمومة أخذت أحدثها، يا عبير يقول العظماء أسعد ما يكون في هذه الحياة التعيسة هي أن تنجب طفلا، ابتسمت وأكملت، كانت أمنيتي أن أتزوج رجلاً حتى لو لم يحبني. أريد منه طفلا فحسب، أريد أن أعيش دور الأم ولو للحظة واحدة وبعدها أموت. لا أريد أن تنتهي حياتي دون أن أنجب.

أخذنا نتصل برجال كي يمارسوا معنا لكن لا فائدة، كان "الكواويد" لا يأتون لنا، بقينا أيام نبحث عن رجل حتى لو كان شكله قبيح، نتن

رائحته كريهة، لم نجد أيَّ كلب كلهم كانوا شرفاء برأسنا، في إحدى الأيام خرجت في الليل عكس عادتي رأيت أبي قبلي ذاهباً إلى الحمام ولشدة الفضول أخذت أنظر إليه من فتحة صغيرة في الباب. اغتسل وتبول وكان قضيبه شبه منتصب. لم أتحمل الموقف أخذت أرتجف وسقطت من الكرسي فخرج وعدلني وأرجعني إلى الغرفة. لم أتحدث، بسرعة تقربت من عبير وأخذت أمص شفتها بحرقة. كنت بأوج شهوتي لأول مرة أشاهد قضيب بهذا الجمال، مارسنا بقوة كانت عبير متفاجئة لقسوتي بالممارسة، كنت أحاول أن أبلعها.

في الصباح أخبرت عبير عما حدث. ظننتها لا تقبل لكن طاوعتني وأخذنا نفكر كيف نمارس معه، في صباح إحدى الأيام وضعنا له في كوب الشاي منوماً كان على شكل حبوب، بعد أن شرب الشاي بقي ساعتين وغرق في النوم. ذهبت أنا وتقربت منه ببطء ولمسته، حاولت أن أجعله يستيقظ لكن كان أشبه بالموتى. ناديت عبير ونزعنا ثيابه وأخذنا نمص قضيبه نصف ساعة تقريبا حتى انتصب ركبت فوقه بمساعدة يدي وأدخلته. كنت عذراء فتحني وشطرني وسال دمي. لكن اللذة كانت أكبر من أن أنزل من فوقه إلى أن قذف بداخلي، كانت عبير تمارس العادة السرية أمامي حاولت أن تركب هي حين انتهيت لكن قضيب أبينا نام.. حاولنا أن نجعله يقف مجددا لكنه أصرّ على نومه.

لم أنم ليلتها. يا له من قضيب. مزقني وبالرغم من ذلك كنت في أوج المتعة، النساء اللاتي لا يدخل قضيب بجوفهن ويمزقهن كلَّ يوم هن نساء بلا فائدة، القضيبُ هو نعمة الله ورحمته للنساء.

في الصباح كنا نحاول أن نضع منوماً لأبي، لكن يا للأسف فقد استيقظ قبلنا وخرج. حزنت عبير ودخلت المطبخ وأتيت بخيارة، نزلت من كرسيها المتحرك بمساعدة يديها وتمددت على السرير بجانبي، أدرت وجهي لها وأخذت أفرك صدرها، أمص شفتها السفلى. أدخلت الخيارة ببطء وأخذت هي تطلق آهات وأخذت أدغدغ صدرها وألحس طرف أذنها اليمنى، وبسرعة أدخلها وأخرجها بقوة حتى أفرغت ما بداخلها، كانت مستمتعة، لو مارست مع قضيب حقيقي مثل الذي يملكه والدنا ماذا كانت ستفعل؟!

في الليل عاد الأب وكان مرهقاً. دخل مباشرة إلى غرفته. لحقته وأعطيته الشاي المنوم. ساعات ودخلنا عليه كان جثة هامدة. تركت المساحة لعبير كي تعمل ما تحب، انتزعت ثيابه وأخذت تمص قضيبه. تأخر هذه المرة كثيرا حتى انتصب، هي كانت عذراء أيضا. أخذت تمارس وأنا أنظر لفرحها وأستمع آهاتها، أخذت الدماء تسيل وهي لا تهتم حتى قذف بداخلها.

مضت خمسة أشهر علينا كنا خلالها نمارس كلَّ يوم وعملنا جدولا، يوم لعبير ويوم لي نمارس به مع والدنا الذي أخذ ينام كثير

بسببنا. وفي آخر فترة شعر بالألم في قلبه بسبب النوم وزاد وزنه، أخذنا نشاهد الأفلام السكسية التي تختص بممارسة الأب والابنة ونقرأ أيَّ شيء يخص الجنس، كانت حركتي قليلة وأقدامي تورمت وأخذت أتقيأ وعندما حللت لي عبير فقالت إنني حامل ولم أصدق. أخيرا تحقق حلمي سوف أصبح "أم". قلت بأيّ شهر قالت في شهرك الثالث، لم أصدق تغيرت كثيراً ولم أمارس كثيراً خوفا على الطفل، وقللت الحركة.

في الآونة الأخيرة حاولت عبير أن تتقرب مني أكثر من مرة لكني رفضت، كنت خائفة أن يسقط حلمي، حتى مع أبي لا أمارس، سبحان مغير الأحوال، كانت حياتي عبارة عن لحس، مص، تقلبات، وجنس بطرق مختلفة، لكن هذا الطفل الذي سوف أسميه"جبر" غير حياتي. أما عبير فلم تهتم بي لأنَّها كلّ يوم تنوم أبي وتركبه؛ لن تحتاجني كما في السابق.

مضت الأيام وأخذت بطني يكبر شيئا فشيئا، أشعر بتحركات جبر داخلي، وإلى الآن لم أمارس بالرغم من مشاهدتي اليومية لعبير، وهي تمارس مع أبي، فقد كان خوفي على جبر يقتل كلَّ اللذات والشهوات داخلي، استمر كل ذلك إلى أن خرج أبي في أحد الصباحات ولم يعد بعدها.

كنا نعتقد بأنَّه سوف يعود في الليل لكن مرت ليال كثيرة وطويلة ومرهقة ومتعبة ولم يعد، الحرب حين تأخذ شخصاً لا تسأل ما أهميته وما لديه هي تأخذه فحسب. بعد شهرين على اختفائه وجدوه مقطوع الرأس في منطقة بعيدة، تغيرت الحياة، كنا صامتتين لا نتحدث. لقد حرمنا من والدنا بعد أن ماتت أمنا بعد إنجاب عبير. مضت الأيام وأنا اقتربت من موعد الطلق وولادة جبر الذي سوف يملأ حياتي فرحا، لا تزال عبير تطلب مني أن أساحقها لأنَّها لا تتحمل وأرفض كالعادة. أخذت تصرخ وتشتم لكني كنت مصرة على عدم فعلي أيّ شيء، قامت تداعب نفسها لكن بلا أية لذة. كأنَّها مغصوبة على فعل هذا، توسلت أكثر من مرة وكنت أصدها بشدة.

تم تحديد موعد العملية، كنت سعيدة أملأ الأرض فرحا. بعد يوم واحد سوف أجري عملية الولادة، في الليل دخلت عبير وكان وجهها شاحبا بكدمات سود تحت العينين وترتجف. قالت بصوت مبحوح مارسي معي ومثل كلِّ مرة رفضت. أخرجت سكين وهددتني. صرخت بها وحاولت أن أمنعها لكن كانت أشبه بالوحش بل وحشاً. أظنها قد أخذت حبوبا مخدرة. اقتربت مني بكرسيها ونظراتها الوحشية ودون أن أتكلم غرزت السكين في بطني.

كم كنت أصرخُ: جبر، جبر...

استيقظت بعد سبعة أيام. هنأ الطبيب بمناسبة سلامتي. وأخبرني بأنَّني كنت بغيبوبة قوية لكنِّي تجاوزتها.

أول كلمة نطقتها جبر أين جبر. لكنه ياللأسى أخبرني بأن سلامتي أهم، وأنني سأعيش وأنجب الكثير.

صرخت به:

لا تقل بأنَّه مات.

ردّ عليّ بكلمات كانت تقول:

إن أختك حكم عليها بالسجن لمدة خمسة عشر عاما.

مات جبر.. مات.

مات ولم يفارقني شعور الأمومة للحظة واحدة.

نغل

منذ سنة وتحديدا في مثل هذا اليوم مات أفراد عائلتي بانفجار كبير. كان يوماً مختلفاً جدا، يوماً من أكثر الأيام قسوة، كان يوماً طويلاً، ومرهقاً، وشاقاً، وعفناً، وقذرا، وابن ستين كلب. لو شتمته بكلّ شتائم الكون لما شفي غليلي منه.

أمضيت وحيدا كلّ هذا الأيام بسبب انتحاريٍّ ابن قحبة يريد أن يأكل مع النبي وينكح الحور العين.

ذلك الانفجار جعلني أمر بحالة نفسية صعبة وعلى إثرها تركت الجامعة بالرغم من أنَّني في المرحلة الأخيرة، كانت لدي محاولات في الكتابة ورغبة كبيرة بالتعلم لكن ما حدث جعلني لا أطيق نفسي وليس لدي رغبة في أي شيء، لا أنكر بأنَّ الانترنت له الفضل الأكبر عليّ، لولاه لكنت مجنوناً في أول أسبوع من الحادثة، في بداية هذا الشهر مات جدي. كان مريضاً فحسب، كان طيباً جدا

ومنذ نعومة أظافري وأنا أتمنى أن أكون مثله أو على الأقل أشبهه، كان وجوده مؤثراً في حياتي، جدي لبق الكلام ولديه قدرة جبارة في الإقناع، هكذا كان، أصدقاؤه ينادونه بالساحر لأنَّه ياما أقنع الكبير والصغير بكلامه.

لروحك المغفرة يا جدي.

قبل ساعات طلبوا مني أن أمكث مع جدتي لأنَّها تسكن في منزل كبير لوحدها، كان جدي يكبرها بثلاثين عاما، تقول أمي دائما "إن الحب لا يعترف بالعمر"، وكان أخي الكبير مشاكسا ويصدمها بقوله:

"لا يوجد هكذا حبّ إطلاقا"، وكعادتها تتعصب وتصرخ به:

" جرّب بالأول وتحدّث بعدين"، وتقول أمي أيضا أنّ أمها من أجمل نساء المدينة في الماضي والحاضر، الكثير من الرجال طلبوا يدها للزواج، أطباء، ومهندسين، وفلاحين، وحراس والكثير من رجال المدينة ومن خارجها، لكنَّها أصرّت على والدي لأنَّها كانت تحبه، كثيرا ما كنتُ أقول لأمي بأنَّها تبالغ إلّا حين تتحدث عن جمال أمها فأنا لا أشكّ إطلاقاً، لأنَّ جدتي في الحقيقة مبهرة رغم أنّ عمرها في الستين تقريبا، لكنَّها جذابة وجميلة بحق كأنَّها فتاة في العشرين من عمرها، شعرها مائل للحمرة ووجهها خالٍ من التجاعيد، حتى جلدها ليس مثل بقية النساء الكبيرات، ليس متهدّلاً بل مشدودا للغاية، جدتي من النساء اللاتي يعتنين بمظهرهن، وفي أيِّ وقت تراها تظن

أنَّها كانت في حفلة ما، اهتماماتها الزائدة بشكلها وجسدها، جعل كلّ فتيات المدينة العاشقات يطلبن خلطات منها لتبيض وجوههن، كل الفتيات اللاتي يحضرن لموعد غرامي كانت تقوم بترتيبهن وتعديلهن، حتى يخرجن بأحسن صورة، أما رجال المدينة فخيرهم وأجملهم يتمنى أن يتزوجها.

دخلت إلى بيت جدي كان كلّ شيء حزيناً وجدتي الجميلة جالسة في غرفتها. كانت محزونة وصامتة. جلست بقربها حين رأتني أخذت تبكي كثيرا، في الحقيقة خفت أن أقول شيئاً ويكون تافهاً لذلك التزمت الصمت حتى انتهت من دموعها، احتضنتني وأخذت تقول:

ابن الكلب تركني!

في صباح اليوم التي أيقظتني فيه كان وجهها أبيض شاحباً قليلا وعيناها فيهما آثار بقايا الكحل وشفتاها ورديتين، حين يرى أيّ شخص هكذا وجه سمح وطفولي بعض الشيء أنا متأكد أنه سوف يحب الصباحات، وقفت على المرآة أغسل وجهي المتعب المنسي منذ زمن، نادتني بصوتها الناعم بعدها سحبتني من يدي، كانت يدها ناعمة ولو اعتصرتها قليلا لانكسرت، جلسنا وتناولنا الفطور معا، قالت لي وهي تأكل إنني كبرت بعينيها ليلة البارحة لأنَّني كنت صامتاً ولم أتحدث، ابتسمت ولا إراديا نهضت وأمسكت رأسها وقبلته وبحركة بطيئة أرجعت بعض الشعر الساقط على عيونها، كان ناعماً

حريرياً للغاية، لأول مرة أشعر بالسعادة في الصباح عكس ما سبق؛ فقد كانت الصباحات ثقيلة وكئيبة، بركةً من الخراء المستمر.

انتهت الأيام المقررة لمكوثي عند جدتي الجميلة. الأيام انقضت سريعا هنا في بيتها. لا أعلم ماذا يحدث! هل أنا مغرم! لا أعرف وصف مشاعري.. كلّ ما أعرفه أنَّني لا أتحمل عدم رؤيتها. هي جميلة ولو رآها شخص يائس من الحياة لتفاءل. أعتقد أن الله جعل كلَّ أنوثة النساء داخلها وبدأت بتكذيب قول مؤرخ الإغريق حين قال:

"في أحيان كثيرة يعطي الله الرجل قليلا من السعادة وبعدها يدمره كليا".

لو شاهد عيون جدتي أو جسدها أو ساقيها أو فمها لتراجع عن كلامه وقال:

"إن الله يعطي السعادة دون تدمير للذين عندهم جميلات كجدتي".

قبل أن أخرج احتضنتني وبكينا بشدة، هذا الموقف أو في الحقيقة هذا الحضن جعلني أقول، إنَّني سوف أنهي حياتي هنا في هذا المنزل. وكم كانت سعيدة لهذا القرار.

خرجت كي أجلب أغراضي وأعود إلى جميلة الحي والبلد كله، رجعت بعد الظهيرة بحقيبة واحدة استغربت وقالت لماذا لم تأت بالبقية؛ أجبتها أنا هكذا أفضل، سحبتني إلى غرفتها وأخرجت

صندوقاً صغير ممتلئاً بالصور وأخذت تمزق الصورة بعد أن أراها وهي تضحك. ركضت على كلِّ صور جدي المعلقة ومزقتها وعلقت الإطارات فقط، قالت والابتسامة تشق وجهها:

أنت بدل جدك لكن لا أظنك تحمل ما يحمل جدك من أشياء سحرية.

في الليل لم تدعني أنام في غرفة لوحدي. قالت:

إنَّك سوف تنام تحت سريري.

في الثالثة فجرا استيقظت لانَّ مثانتي كادت أن تنفجر بسبب تجمع البول داخلها، ذهبت إلى الحمام وأكملت حاجتي وحين عدت رأيتها نائمة وثوبها مرفوع حد المؤخرة. بقيت واقفاً أنظر لهذا المشهد الجبار أنزلت يدي على قضيبي فوجدته منتصباً كرمح. ودون أيّ شعور فكرت بجدي كيف يموت ويترك كنزاً مثلها! لولا تحركها لمسكت مؤخرتها دون خوف، تخيلت لو أنَّني ممددا بجانبها الآن وأرفع ما تبقى من ثيابها وأمسك فخذيها وأقبل كلَّ جسدها الناعم، أمسك ثدييها وأرفع قدمها وأدخل قضيبي المحروم ببطء داخلها، نمت وأنا أحسد جدي على هذه النعمة.

في الصباح أيقظتني وسحبتني من يدي إلى الحمام ورشت وجهي بالمياه وأخذت تفركه، حين لمست بأصابعها وجهي انتصب قضيبي. حاولت أن أغطيه بيدي.

قالت: ما بك؟

لا شيء، أجبتها.

سحبت نفسي بسرعة إلى الطاولة، تناولنا الفطور معاً. كنت أنظر إلى عنقها الذي يشبه الثلج. حين انتبهتْ أنزلتُ عيني. كنت طوال اليوم لا أفعل ولا أفكر بشيء سوى كيف أقول لها بأنَّني لا أطيق الابتعاد عنها، عشرات الخطط تأتي ليلا وكلّ مرة أقول إنني سوف أخبرها إني مغرم بها مفتونا بجسدها عاشقا لتعاملها معي، وفي الصباح أهدم كلَّ شيء بنيته، بمجرد رؤيتها أفقد السيطرة ولساني يصيبه الخرس.

الوقت، الثواني، اللحظات، والأيام، كل شيء هنا يمر بسرعة عجيبة. إنني أعيش مع مخلوقة لا تتكرر. لولا خجلي لكنت أسعد رجل في الكوكب كله. ما زلت أخطط ليلا وأهدم صباحا، وفي ظهيرة أحد الأيام دخلت إلى الحمام بعد خروجها فوجدت بقايا شعرها وصابونها ودون تفكير لطخت قضيبي به ومارست العادة السرية، بعد خروجي كان قضيبي منتصباً لكن ليس بالكامل. كانت جدتي تحاول الدخول أظنها نسيت شيئاً ما، حين دخلت لمس قضيبي مؤخرتها ضحكت هي أما أنا فخجلت ولم أنظر بعينيها ليومين. في اليوم الثالث قالت لا تهتم هي مجرد لمسة صغيرة لم أجب بأيِّ كلمة ضحكت وقالت: دخلت في وقتها كي أسكب الماء وأنت ماذا فعلت؟

خجلت ولم أتكلم أيضا، أخذت تتكلم يا حبيبي الجنس شيء فوق معنى إرادتنا مثل التنفس. وأنا من اللاتي لا يعشن دون جنس، سحبت نفسي وخرجت. خفت أن أقول لها أنا من الرجال الذين لو مارسوا معك لمرة واحدة وبعدها يساقون إلى الموت لقبلوا دون تردد.

في الليل دخلت وجدتها نائمة تقربت منها بشجاعة غير معتادة ولمست فخذها الأيمن، كان كأنَّه قطن لشدة بياضه ونعومته، تحركت قليلا.. تركتها وأسرعت إلى فراشي، أحسست بها حين نهضت تقربت مني. وضعت يدها على رأسها وبيدها الأخرى رفعت خصلة الشعر الساقطة، تقربت مني أغمضت عيوني. ظنت أنني نائم فمررت يدها إلى قضيبي. أمسكته من فوق اللباس فانتصب. لم أتحرك إطلاقا، أخذت تداعبه لم أتحمل وكدت أن أنفجر. نهضت وأنا أفرك بعيني، أبعدتها بيدي وصرخت ماذا بكِ؟ لكن شيئا ما يجرني نحوها. أمسكتها من كتفيها وأخذت أقبلها من شفتيها، وأفرك ثدييها، قرصت شفتها السفلى ويدي تمس الأفخاذ. بحركة سينمائية خلعت ثوب نومها، وبدأت أفرك ثديها الأيمن، قبّلت كلَّ شيء حتى باطن قدمها. ذابت وتلاشت وكأنَّها دخلت في غيبوبة، أخذت أنا أعض بلطف أطراف أذنيها. تمددت وطلبت أن تأتي بمؤخرتها فوق رأسي ويكون رأسها عند قضيبي. لقد رأيت ذلك في أحد الأفلام

الإباحية، فعلتْ ما طلبتُه منها، أخذت ألحس فرج جدتي وهي تدخل قضيبي كله بفمها قبل أن أقذف أبعدتها، استلقت جدتي على ظهرها ورفعت رجليها إلى صدرها وقعدت أنا بين فخذيها متهيئا قاعداً على أطراف أصابعي، حضنتها حضنة شديدة وقبلتها، ومصصت لسانها، وعضضت شفتيها، وأدخلت قضيبي فيها، "أرهز أرهز"، كانت هي في غيبوبتها، لم تنطق أيّ حرف سوى آهات طويلة، دفعته كثيرا كثيرا حتى أفرغت سائلي كله داخلها.

نمنا على وضعنا هذا حتى الصباح، كنت أنا خجولا، وهي لا تحدثني، تناولنا الطعام دون أيّ كلمة أو ابتسامة، دخلت هي إلى الحمام بعد أن أكملت أعمال البيت، على الفور دخلت خلفها دون خجل هذه المرة. كانت صامتة.. وأنا لم أتحدث عن أيِّ شيء، هي واقفة كأنَّها فتاة روسية لا توجد أي تجاعيد في أي نقطة بجسدها، أما عضوها فقد كان أجمل ما رأت عيناي، كان مشدوداً، متماسكاً بلا شعر وطعمه كوكتيل فواكه سماوية. ضاجعتها بصمت وخرجت، بقيت ممدداً على سريري حتى الليل، أتت ونامت على يدي وبكت بحرقة وقالت:

أرجوك لا تتركني.

بعدها عانقتني بقوة وأخذت تحدثني، تزوجت جدك ليس لأنَّه طيب القلب أو كريما ولا حتى لأنَّه جميل، تزوجته لأنَّه كان

يحمل قضيباً غريباً وسحريا، وبعد أن مارسنا وذقته وهبت حياتي لأجله، حتى إنه في يوم ما حاولت أن أجرب مع غيره لعلي أجد قضيباً يعطيني المتعة واللذة والأمان، نعم حتى الأمان كان يدخلني حين يدخل، كان كبيراً ورأسه كرويّ وعريض للغاية، فعلتها مع صديقه لكني اكتشفت أنني لا أكون إلا مع قضيب جدك.

عندما مات قلت إن الحياة انتهت لكن حين مارست معك رجعت لي الفرحة والحياة نفسها، قضيبك نسخة مطابقة من قضيب جدك، فرحت لكلامها، وأخيرا كنت أشبه جدي حتى لو كان التشابه في القضيب. يكفي أنه يريح جدتي ويجعلني أمارس معها كلّ يوم. لا شيء أكثر حظا مني الآن، أمارس الجنس وأنام. أفضل حياة هي تلك التي بلا أهداف. حين يكون الإنسان بلا هدف معين، تكون الحياة خالية من المصاعب، يكون مستمتعاً فحسب، الأهداف تعكر صفو الاستمتاع، أقول ذلك لأنَّني مع امرأة تحول كلّ شيء إلى استمتاع، النساء الكبيرات وحدهن يعرفن من أين تؤكل أكتاف اللذة، مغامرات لا يعرفن المستحيل، أما على الفراش فهن متمكنات ويجعلنك حصاناً، تقضي الليل تلهث ولا تكف عن الممارسة مهما يحصل، يجعلنك مدمناً لا تقدر أن تمكث دون أن تضاجع، خاصة جدتي. جدتي هي الحرب التي لا تهدأ.. مشتعلة دائما في الليل والنهار.

الكثير من الممارسات، ملايين النطف، عشرات الوضعيات، تقلبات لا تعد، رهز مستمر كلّ يوم، قُبل لا تحصى، والكثير من الحمّالات الممزقة، هكذا انقضت سبعة أشهر.

وفي أحد الأيام الممطرة والباردة عدت إلى المنزل ووجدت جدتي وحبيبتي تنتظرني. فور وصولي انتزعت ثيابي وأخذت تمص قضيبي. لم أقاوم ومارست مثل كلّ مرة وحين انتهيت أخبرتني بأنَّها حامل، وقفتُ بذهول وقلت:

كيف حصل؟! النساء اللاتي في عمرك لا يقدرن على الحمل.

أجابتني: أنا لست مثلهن.

صرخت: كيف؟

قالت: أنا أفنيت عمري مهتمةً بجسدي.

صرخت: الاهتمام لا شأن له في الحمل.

لكنها باستغراب ردّت:

أنا كنت محافظة على داخلي بعناية. هل أصابك العمى ولم تشاهد مهبلي كيف لا يزال مبللاً دائما. كأنَّه عضو بنت في ريعان شبابها.

قلت مجددا: حتى هذه الأشياء لا شأن لها بالإنجاب.

قالت: ابق على عنادك.

سألتها: كم مضى من الشهور وأنتِ حامل؟

أجابتني: في الشهر الخامس.

صرخت بقوة: لماذا لم تخبريني؟!

قالت: أخبرتك الآن.

يجب أن تنزلي الطفل أخبرتها بهدوء.

إنَّك تحلم، أخبرتني وصمتت ثم واصلت الكلام:

إنني حامل بطفل. طوال حياتي كنت أرغب بولد أرزق به. والآن رزقني الله بولد. الآن تحقق حلمي الذي انتظرته كلّ هذه السنوات.

قلت لها حين يأتي ذلك الصبي ماذا سوف أناديه جدي، أم ابني، كيف؟ هذا الطفل سوف يوقعنا بمشاكل ليس لها حل.

قالت:

يا حبيبي، لا تناديه! ليست مشكلة. والذي يأتي من الله فأهلا به.

صرخت: هذا الطفل حرام.

قالت ودموعها تتساقط: أليس حراماً حين أبقى دون رجل؟

أليس حراماً أن يموت زوجي وأنا أحتاج إلى قضيبه، أليس حراماً أن أعيش دون إنجاب إذا كان حراماً فأنا أتحمل ذلك، وأعدك حين ألتقي بالله يوم المحشر سأقول له لا شأن لحفيدي فيما جرى.

خرجت من فمي الكلمات وأنا أمسح دموعها:

يا حبيبتي لا أريد أن أخسرك.

عقّبتْ: إذا خيرتني بينك وبين الطفل سوف أختار الطفل دون تردد.

قلت: يا جدتي تتركيني من أجل طفل لم يخرج بعد، سيتعذب وسينادونه: النغل.

في الصباح قررت أن أنقذ نفسي من الفضيحة، لكن كيف؟

فكرت كثيرا حتى وصلت إلى أنَّني يجب أن أسافر، أعلم أن اتخاذي قرارا مثل هذا، سوف يعود بي إلى أيام التعاسة والكآبة.

عرضت بيت أهلي للبيع وبعدها بأسبوع اشتراه أحد الأشخاص.

في صباح ذلك اليوم، استيقظت دون علم جدتي، أخذت أغراضي، وقفت أمامها. كانت الحرب ولأول مرة نائمة وأنا بعيد عنها، تشبه إحدى جنيات الأفلام الجميلات، طبعت قُبلة على خدها الوردي.

شعرت حينها إنني أشد البشر تعاسة، خرجت أنظر يميناً ويسارا والدموع تتساقط، سأشتاق إلى كلِّ شيء هنا، سرير جدتي، الذي كان شاهدا عليَّ حين أمارس الحب، سأشتاق لكِ يا جدتي، وحبيبتي، وعظيمتي.

بقيت شهرين في تركيا، شهرين لا أعرف كيف قضيتهما، كنت أفكر بالعودة لكن حين أتذكر الطفل أتراجع، كلّ يوم يزداد الحزن، الألم، والشؤم. بعدها خرجت إلى اليونان مع اللاجئين، ومن اليونان إلى ألمانيا وقررت الاستقرار هناك، بعد سنة واحدة تعرفت على لاجئة سورية، كانت جميلة لكنها ليست بجمال جدتي العظيمة.

تعرفت على أصدقاء وعن طريقهم عملت في إحدى مطاعم العاصمة، تعلمت قليلا من لغتهم التي ساعدتني على الاستمرار في العمل، تزوجت اللاجئة، وأنجبت زوجتي طفلين: بنت وولد.

ذات ليلة كنت بائساً، أفكر بأيامي القديمة وماذا يخبئ لي القدر.

فتحت اللاب توب وأخذت أقلب في الفيس بوك، وفجأة رأيت صورة جار بيت جدتي وصديقي، كنت ألتقي به بين فترات مختلفة، بعثت له طلب صداقة، وبينما أنا أتصفح غفوت.

في الصباح وجدته قد وافق على الطلب؛ فدردشت معه:

مرحبا، شكرا للموافقة.

رد بسرعة: ولو أهلا بك.

- أنا عبد الله، صديقك وجارك.
- لك وين اختفيت، وما جاي تجيني.
- سافرت إلى ألمانيا.
- لا بشرفك.
- أكلك شخبار جدتي، كيف حالها.
- شنو ما تدري شصار لها.
- شصاير جاوبني فدوه.
- خطية، ماتت في انفجار، انفجار قوي هز المحافظة.

لم أجبه.

استمر يكتب: لقينا في بيتها طفلا يشبهك، يقولون إنَّها أتت به حتى تعوض وحشتك.

أغلقت اللاب توب، وأخذت أتذكر، كيف كانت ساحرة، كيف كان جسدها خالٍ من التجاعيد، آه يا جدتي لماذا لم تسمعي كلامي، لم أنم طوال الليل، كانت ذاكرتي تعرض شريط ذكرياتي مع أجمل نساء المدينة وأبهرهن حتى وهي ميتة.

مــسّ

المطر لم يتوقف منذ الأمس، الشوارع فائضة، خروج الناس في هكذا أجواء قليل جداً، الشتاء بارد هذه السنة عكس السنوات الماضية، خرير المياه يوقظ الذكر المهيمن قبل موعده في النهوض والذهاب للعمل، يشعر برجفة في عظامه لشدة البرد، يحدث نفسه، سأرتاح اليوم من عملي الذي ليس فيه استراحة، يدثر جسده بلحاف آخر، الآن يشعر بدفء. ينام بلا تفكير.

استيقظَ مجددا لكن هذه المرة في الثالثة مساء ما زال المطر ينهمر لكن ليس بالقوة التي كان عليها بالأمس، اليوم مختلف لديه منذ سنوات لم يسترح من عمله الشاق ببيع الدجاج، ورث عمله عن أبيه، صوته القوي ورثه من أبيه أيضا. كلّ الذين في السوق كانوا يسمعونه إذا صرخ:

"دجاج دجاج أبيض بخمسة آلاف فقط".

حين كان طفلا كان أبوه يأخذه لتعلم مهنة بيع الدجاج، هو الآن في سن العشرين، يتقنها كما يتقن حلاقة لحيته في البيت، بعد أن ملأ بطنه طعاما، قرر أن ينظف غرفته التي لم يزرها أحد منذ فترة.

نهض بحماس. لم يؤثر البرد عليه ولا على بطنه المحشو، صعد درجات السلم بحركات مملوءة بالنشاط، وقف عند باب الغرفة المفتوح ونظر. كانت الغرفة مصابة بفوضى عارمة، ثياب ممزقة، ساعة الجدار متوقفة، أوراق بيضاء تملأ الأرض، صورة أبيه المعلقة مفطورة من الجانب، الوحيدة التي لا تزال في مكانها، التراب يغفو فوق كلِّ شيء هنا، الغرفة قذرة ليس ثمة شيء جميل غير النافذة التي خلعت أبوابها لأجل أشعة النور كأنَّها تمردت على قذارة المكان، ها هو ينظر إلى السقف، يندهش لمنظر طائر يضع عشه على ريشة المروحة. سأل نفسه كيف فكر ذلك الطير بالمكوث هنا.

أعتقد أنَّه بلا قوة مثل هؤلاء الذين وضعوا بيوتهم في التجاوز لا يبالون تهديمها من قبل السلطة، في الحقيقة إنَّهم أموات لا يبالون بحدوث أيِّ شيء. كان الطير ينظر إليه وهو متوقف في باب الغرفة. وفق منظور الطير أن سعيد هو السلطة وسيدمر كلّ شيء.

حدث نفسه: سأبقي ذلك الطير في عشه دون أن يلمسه أحد ومن اليوم وصاعداً نحن أصدقاء، قالها بعد أن كفَّ عن النظر إلى الطير خوف أن يطير دون رجعة.

يرجع لغرفته المتسخة من كلِّ جانب ينتبه من بعيد ويقول لنفسه ماذا يكون ذلك الذي يختبئ خلف الطاولة الواقفة، إنَّه شعر رأس أم ماذا؟ يتقدم بخطوات ثقيلة، يقترب أكثر، يُصدم، يبقى متجمداً في مكانه. إنَّها فتاة بشعرها الطويل وبياضها الثلجي. حين رأته الفتاة يتقدم كانت خائفة جداً سحبت يديها للخلف وأصبحت كالخنفساء. كورت نفسها لشدة الخوف. ما يزال مندهشاً يسألها: من أتى بكِ إلى غرفتي؟ لم تجب كانت صامتة. يقول لها لن أؤذيك. لا تخافي لكن كلَّ ما أطلبه منكِ أن تتحدثي بصدق. تفتح يديها وترفع وجهها ببطء. تنظر إليه قليلا وترد بصوت ناعم وساحر للغاية:

سأخبرك بالحقيقة لكن لدي طلب.

يرد: اطلبي.

تقول الفتاة: أريد أن توفر لي الأمان. أنا هربت من أخيك الصغير. تحاول الاستمرار بالحديث لكنه يقطع كلامها بقوله:

إنَّني لم أرك في بيتنا قط.

ترد الفتاة: وأنا أيضا لم أشاهدك بالمرة في هذا المنزل اللعين. أخوك يعذبني، يتركني دون طعام لأسابيع يحبسني كثيرا، ويضربني بقسوة، يسحبني من شعري ويركض بي في البيت. حتى خارج البيت كان يفعل ذلك، إنني تعبت، تعبت كثيرا لم أطق العيش معه، أتعلم أنَّه لم يضاجعني مرة في حياته.

يندهش من قسوة أخيه يطمئنها بقوله:

أنا سأحميك ولن أدع أحداً يعلم أنَّكِ تمكثين في غرفتي. لكن كل ما أطلبه منك ألّا تنزلي إلى الأسفل ولا تحدثي أيّ صوت حين أغيب عنكِ.

طأطأت رأسها موافقة، استيقظ في صباح اليوم التالي للذهاب إلى عمله. كان مرهقاً والكسل يمتطيه من كلِّ جانب. لم ينم ليلة أمس كثيرا فقد تقلب على فراشه مرات عديدة. حاول الذهاب لتلك الفتاة لكنه كان خائفا، عاد مسرعاً إلى البيت. أمه وإخوانه يتفاجأون بعودته في مثل هذا الوقت.

يقول لهم: إنَّني مرهق جدا. أريد أن أرتاح فقط.

يصعد درجات السلم بسرعة فائقة ويقف في باب الغرفة. يندهش. صار كلّ شيء مرتباً ونظيفاً، الأرض كانت تلمع وكذلك الجوانب.

يتذكّر الطير، يرفع نظره إلى السقف بسرعة يطمئن لوجوده مضطجعا في مكانه.

يدخل الغرفة بخطواته الثقيلة المعتادة. كانت الفتاة أمام المرآة تمشط شعرها كأنَّها تنتظره.

يقول لها: كيف رتبتِ كلّ تلك الفوضى بمفردك.

تبتسم له وترد: لا يهم إنَّني مدانة لك وسأفعل ما تطلبه مني.

يقترب منها بعناية. لا يزال خائفا. يمسك يديها الناعمتين، تخفض رأسها خجلا. بخدودها الحمر يقبّلها برفق وعناية. تستجيب للقبل. يسحبها من يدها إلى السرير.

أخذ لسانه يتذوق كلَّ شيء صار بمتناوله، كانت فريسةً بيده. ضاجعها دون خوف باستمتاع ولذة. الآهات كانت خفيفة جدا كي لا يسمعهما أحد. يكملان ممارستهما. يحضنها كأنَّها زوجته وينامان ببرود دون أي تفكير.

كلّ العائلة والأصدقاء يسألونه:

ماذا يحدث منذ شهرين؟ لست طبيعياً، تأتي إلى عملك قليلا وفي الأيام الأخيرة لم تأت أصلا! قل ماذا يحدث معك؟ ممّ تشتكي؟

كان يجيبهم دائما:

إنني مرهق فقط.

يتهرب من أسئلتهم كثيرا بالقول:

إنّني بخير. لا تهتموا بي.

عاد ذات يوم من عمله كان يريد أن يضاجع الفتاة التي تزوجها في الأسبوع الماضي، كالعادة صعد درجات السلم بسرعته المعتادة. يدخل غرفته يلقاها ممددة بطولها وشعرها السائح على عينيها.

تراه تبتسم له وتقول:

اليوم لدي مفاجأة لك.

قبل كلّ شيء وهو يخلع ثيابه يقول لها:

ما المفاجأة قولي بسرعة إنّني متحمس.

ترد بصوت كله سعادة:

إنّني حامل.

لا إنَّكِ تكذبين، يرد عليها.

لكنها تقول:

إنَّني حامل وعيونك إنَّني حامل.

يحضنها بحرقة ويقبلها ويقول لها كلمات الشكر.

يمارسان الحب ككلِّ يوم وينامان.

لم يذهب للعمل في الصباح. ظل بجانبها.

تحاورا وضحكا.. وقالت:

إذا كان صبيا سأسميه آدم وإذا كانت فتاة سأسميها فلة.

يضحك كثيرا.

بالمناسبة.. اليوم هو الاثنين وآخر أيام الفتاة قبل الإنجاب.

لقد أكدت لزوجها أنَّها حامل ببنت.

يستيقظ سعيد قبل زوجته يقبلها ببطنها المنتفخة. تفتح عينيها ببطء. يقول لها:

سأذهب لإحضار الفطور لكِ. لا تتحركي إنَّني خائف عليك وعلى فلة التي ستأتي غدا للحياة. ستكون بيننا.

ينزل درجات السلم بسعادة. لم يلق أحداً في البيت سوى أخيه الصغير. يسأله:

أين ذهب البقية؟

يرد: أمي ذهبت إلى السوق والبقية في المدرسة.

يحلق لحيته ويسرع لإحضار الفطور.

يعود بعجالة إلى البيت. يصعد السلم بسرعة. يدخل الغرفة. يضع الفطور على السرير. لم يجد الفتاة. أخذ يبحث كثيرا، تشتت أفكاره، نزل بسرعة فوجد أمه عادت من السوق للتو، فتش في أنحاء البيت كلّه. لم تكن موجودة. كان مصدوماً. لم يقدر أن يتخيل أنَّها هربت! اضطر أن يسأل أمه:

أمي هل رأيت فتاة بشعر طويل هنا أو في أيِّ مكان في البيت.

ترد أمه:

"يمه اسم الله عليك ماذا بك اليوم".

يتركها ويصعد السلم بسرعة فائقة. ينظر خلف الغرفة. كان أخوه الصغير يمسك سكينا. لم يصدق. ذهب إلى هناك؛ فوجدها ممزقة من كلّ جانب. أخذ يصرخ:

غدا ستلد لماذا قتلتها؟!

يبكي ويصرخ بصوته الذي يشبه صوت أبيه حتى امتلأ شارعهم بالجيران وهم يسألون بعضهم البعض "لماذا يصرخ سعيد".

تركض أمه بسرعة نحوه:

ماذا بك يا ابني يا قرة عيني عن ماذا تتحدث؟

يقول لها:

انظري لقد قتل زوجتي الحامل.

ترد أمه بخوف:

عن أيِّ زوجة تتحدث هل جننت؟ يا إلهي ماذا يحدث لابني. حالته لا تطمئنني. تحضنه بدهشة ورعب وتنزله. لم تصدق ما يجري لابنها.

تقول أمه:

لا يزال يبكي منذ سنتين على طفلة اسمها فلة وزوجة لم يقل ما اسمها، أخذته إلى أطباء كثيرين ولم يجد نفعا. تعبت من نحيبه وصراخه المدوي. وصفوا لي روحانياً يعالج هكذا حالات من المس والجنون. غدا سآخذه لكنّي متأكدة أن لا شيء سيمنع نحيبه وصراخه المتزايد لحظة بعد لحظة على فراق تلك الدمية اللعينة!

الفهرس

ما الذي يحدث هنا؟! 9
ضرّاب الحي 12
نتوء 16
السيد فاعل 20
ثرية 25
صابر 30
زواج المصخم 35
صالح 42
قدم ثالثة 51
بلا أقدام إلى الأبد 57
نغل 64
مـــسّ 78

Septic Tank